السنة الثامنة عشرة    العدد ١٠    تشرين الاول    ١٩٢٠

# المشرق

نابغة السريان

## القديس افرام الملفان

لله الشكر والحمد لقد تحققت امانينا التي طالما وطّدنا الامل في الحصول عليها . انبأتنا اخبار رومية بأنّ القديس افرام السرياني الملقّب في الكنائس الشرقيّة بصنّاجة الروح القدس قد اقيم على منارة الكنيسة جمعاء . فنظمهُ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر في عداد معلّمي البيعة واعلن به ملفاناً تكرمهُ الكنيسة الكاثوليكيّة في كلّ الانحاء بهذه الصفة وتقيم لذكرهِ عيداً كأعياد الحائزين على تلك الرتبة

وقد زاد شرف القديس بأنّ بطاركة الشرق الاجلاء من موارنة وسريان وملكيين وكلدان وارمن اغتنموا فرصة وجودهم في عاصمة الكثلكة ليرفعوا الى مقام قداسة ابي المؤمنين عريضةً التمسوا فيها بان يُعلن رسمياً مار افرام السرياني ملفاناً للكنيسة الجامعة الغربيّة والشرقيّة

فوقع طلبهم لدى الحبر الروماني احسن موقع ورأى قداستهُ في تلبية دعوتهم نهزةً جديدة لبيان انعطافهِ نحو الطوائف الشرقيّة . ومن ثمّ تقدّم الى مجمع الطقوس والى بعض العلماء الاختصاصيين بان يفحصوا اعمال القديس افرام فحصاً مدققاً ويتحقّقوا انطباقها تماماً مع تعاليم الكنيسة واهليّتها لتُجعل دستوراً يرجع اليهِ المؤمنون في عقائد الدين وقاعدة الآداب . فقاموا بهذه المهمّة القيام الحسن بحيث تمكّن رئيس الكنيسة بالمناداة به رسمياً كملفان ومعلّم للبيعة الكاثوليكيّة كلّها وامر بان تفرز لهُ الكنيسة اللاتينيّة طقساً خصوصياً في ٢٧ تموز المنصرم

فلم نرَ بدّاً من تسطير مقالة في المشرق نجمع فيها الخواصّ المميّزة لذلك الملفان

المنظّم الذي استقت من موارده العذبة كنائس الشرق على اختلاف طوائفها. وكانت تعاليمه كافية لأن تنكّب بالكنائس السريانيّة – لو ثبتت على اتباعها – عن سبيل الضلال. وعليه سنبيّن تباعاً على وجه الاختصار صفات القديس افرام كرجل ثمّ كسيحي وناسك ثمّ كمجاهد ثمّ كملفان واخيراً كشاعر

## ١ الرجل

قد اجمع علماء التاريخ الكنسيّ على انّ القرن الرابع الميلاد كان من ازهى واشرف قرون النصرانيّة. فيه خرجت بيعة الله ظافرةً من جور قياصرة رومة وعتوهم قاهرةً لشوكة المضطهدين محطّمةً لسيوفهم. سحقت برجلها الاصنام الهالكة على كثائف الخفاء. الامور منذ الوفر من السنين فثلّت عرشها ورفعت راية ابن الله وصليبة النير فسارت في ظلّه الى فتح العالم الوثني لتدبجه للانجيل وتلمّه بحريّة ابناء الله

نعم انّ الكنيسة وجدت في طريقها اعداء جدداً اعني شيع الهراطقة وبدع الملحدين بيد انّ ذلك اجداها قوّةً وزادها كمالاً اذ بدّدت بتعاليمها الخلاصيّة غياهب تلك النحل وكشفت ظلماتها الكثيفة فبدا نورها الساطع ولاح حسنها الرائع

كان ذلك العصر زمن نوابغ الرجال وكبار الاحبار وارباب العلوم الكنسيّة شرقاً وغرباً فناهيك باسمائهم دلالة على عظم مقامهم. فمن يا ترى يجهل فضل القديسين امبروسيوس واوغسطينوس وايرونيموس في الغرب والقديسين اثناسيوس الاسكندري ويوحنا فم الذهب وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازينزي في الشرق فانّ تآليفهم الباقية الى يومنا تنطق بسموّ فضلهم وتشهد لكنيسة المسيح بالسباق في حلبة العلوم وميدان الآداب

ففي ذلك العهد وبين هؤلاء الفطاحل ظهر افرام السرياني فجاراهم فضلاً وعلماً وشرّف شرقنا العزيز بما خلّفه معهم من جميل المآثر

ولد القديس افرام في اوائل القرن الرابع في مدينة نصيبين احدى حواضر بلاد ما بين النهرين في ذلك العهد. وقد جاء في ترجمة حياته المطبوعة في الموصل سنة ١٨٨٣ انّ اباه كان كاهناً للاصنام في مدينته يسدن اصنام يدعى ابليل. وذلك يخالف ما اورده منه مترجمو حياته ولا سيّما ما رواه القديس عن نفسه في ميمر توبته الى الرهبان

حيث سرد بعض اعمال حياته فيقول (Acta Sanctorum , IV,60) : « قد هذّبني آبائي بالمسيح . علّمني والديّ خوف الربّ . . . قد اعترف اهلي بالمسيح في المحاكم . تربطني مع الشهداء روابط الدم » . فقولهُ هذا ينفي وثنيّة والدهِ

والارجح انّ اهلهُ كانوا اغنى بالايمان منهم بغنى العالم وحطامهِ . وقد دعاهُ ابواهُ باسم افرام ومعناهُ بالسريانيّة الوافر والغزير والمثمر . جاء في احدى تراجمهِ القديمة ( AS, IV,74 ) انّ والديهِ عند مولدهِ نظرا في الرؤيا جفنةً ذات اثمار لذيذة كانت تمتدُّ اغصانها وتتوفّر عناقيدها فيقبل اليها عدد لا يُحصى من طالبي جناها . فسمّياهُ لذلك بافرام

ولعلّ عمادهُ تأخّر الى سني شبوبيّتهِ فكان ذلك سبباً لاستلامهِ الى بعض اهواء الشباب فانّهُ في ميمرهِ المذكور يروي بالتأسّف ما فرط منهُ من الذنوب في حقّ نفسهِ وحقّ القريب لا سيّما جنايتهُ التي بكاها طول حياتهِ اذ ساق بقرةً لاحد الفقراء فتاهت في البراري ثم افترستها الذئاب فحصل بذلك ضرر لصاحبها فسمح الله وفاءً عن ذنبهِ هذا ان يُنسَب اليهِ جرم آخر كان هو بريئاً منهُ فحُبِس ايّاماً طوالاً وكاد يذوق بسببهِ مرارة السياط بل الحكم بالإعدام لولا انّ الله نجّاهُ برؤيا ملاكٍ حرّضهُ على التقى واعمال البرّ . وعرف من رفقتهِ الذين وجدهم في السجن انهم مثلهُ رُموا بتُهَم باطلة مع اقترافهم ذنوباً سابقة لم يُحاكَموا عليها . فاستنتج من ذلك انّ الله ربّما انتقم من المجرمين فيحكم عليهم القضاة زوراً لاجل آثام لم يجترحوها تكفيراً عن آثام اخرى مجهولة عند الناس ثابتة لدى الربّ

لكنّ هذه الشوائب التي اعترف بها القديس افرام علانيةً امام تلامذتهِ لم تكد تبلغ الكبائر وقد حملهُ على اشهارها تواضعهُ جرياً على قول الكتاب (امثال ١٨ : ١٧) : « الصدّيق هو الاوّل في اشتكاء نفسهِ »

وما نعلمهُ من بقيّة حياتهِ العالية انهُ خرج من تلك المحنة عازماً العزم الثابت على ان ينزع عنهُ الرجل العتيق « ويلبس الربّ يسوع » ( رومة ١٣ : ١٤ ) . وقد صرّح في حكاية احوالهِ انّ المعموديّة التي اصطبغ بها حينئذٍ طهّرتهُ من كل اوزار حياتهِ وظهر منذ ذاك متّصفاً بكل الصفات الحسنة والمناقب الجليلة متنزّهاً عن أشر الشباب مبغضاً لأباطيل العالم دمث الاخلاق وديع النفس ساعياً في خير القريب متفانياً في خدمتهِ ،

حتّى انهُ في بعض السنين اذ علم ما اصاب مواطنيهِ من الضنك بسبب المجاعة غادر منسكهُ وجاء الرها يستعطي من اهل الثروة ليسدَّ عوز البائسين فنجاهم من مخاليب الموت

امّا صورتهُ الجسديّة فانَّ بعض الاقدمين قد وصفها بقولهِ : « كان افرام طويل القامة ذا وجه صبيح وصورة جميلة تلوح عليهِ في كلّ حركاته سمات الوداعة واللطف وانّما يظهر في عينيهِ وعلى جبينهِ اثر الاسف والحزن لما يُحدق بالبشر من اكدار العالم»

وفي صورته التي رسمناها هنا عن اثر قديم ترى وسامة وجهه وجمال سحنته ذات الوقار والورع . وقد عرَّضهُ ذاك الجمال غير مرة الى وقاحة البغايا لكنهُ دافع بشهامة عن عفّته كيوسف الحسن بل ربح الى الله مجرّبيه

بلغ القديس افرام شيخوخة صالحة فات فيها يُظنّ في ١٨ حزيران سنة ٣٧٣م. وعدَّ الرهاويون موتهُ رزءًا وطنيًا فدفنوهُ باكرام عظيم ولا يزال قبرهُ في احدى كنائسهم مزارًا يتبرّك به الجمهور

## ٢ المسيحي والناسك

ما كاد افرام يدرك شرور العالم حتّى فرّ الى الله وانقطع الى خدمته . وكان وقتئذٍ القديس يعقوب اسقفًا على نصيبين فالتجأ اليهِ افرام وطلب منهُ ان يقبلهُ بصفة شماسٍ فخدمهُ خدمة نصوحًا ولمّا عُقد سنة ٣٢٥ المجمع المسكوني الاوّل في مدينة نيقية استدعى الاسقف شماسهُ ليسير في رفقته فصحبهُ فعرف افرام هنالك ما صارت اليهِ كنيسة المسيح من العزّ والرونق وزاد استمساكًا بالايمان المستقيم واطّلع على خبث آريوس وانصاره فاستنكف من كلّ اهل البدع

ولمّا عاد افرام الى وطنهِ اراد ان يزهد في الدنيا ويعيش عيشة النسّاك فلحق بجبل قريب من نصيبين حيث كان انقطع الى الله احد الحبساء فتتلمذ لهُ واخذ عنهُ الطريقة النسكيّة مستمرًا بالصلاة قامعًا لشهوات الجسد بالصوم والسهر والشغل ممارسًا للطاعة التامّة والفقر الانجيليّ الكامل كما اوصى به الرب ( متى ١٠ : ٩ ) مجاريًا في جسدهِ للعفّة الملائكيّة حتّى كانت طهارة روحه الباطنة تزين صورة شكلهِ الظاهر . وصرف خصوصًا همّتهُ الى قمع حدّة طباعهِ فاصبح من ألين الناس خلقًا .

وكذلك اذ رأى نفسهُ مائلة الى الزهو والكبرياء لم يزل يذلُّ شبابها ويذلّلها فبلغ به تواضعهُ الى ان عدَّ نفسهُ من اذلّ خلائق الله فكان يقضي الايام باكياً على ذنوبه واذا اثنى عليه احد كان ذلك الثناء لديهِ كإهانة عظيمة وعار شديد يصيبهُ عند سماعهِ احمرارُ الخجل وقلق الضمير فتنهمل الدموع السخينة من عيونه

قضى افرام مدّة سنين في المنزل ليتفرَّغ لاعمال النسك ومناجاة الله ولم يعد الى نصيبين الّا لما رأى سنة ٣٥٠ اهل وطنهِ يتهدّدهم لمرّة ثالثة سابور ملك العجم وعدوّ النصارى الالدّ ساعياً ان يفتح مدينتهم بخيلهِ ورَجلهِ فأراد افرام ان يشاركهم في ضيقهم ويبعث فيهم روح الحميَّة والحماس للدفاع عن وطنهم - فارتدَّ سابور خائباً بعد ان حاصر المدينة سبعين يوماً ودفع على اسوارها مياه نهرها دون ان يقوى عليها . وممَّا يُخبَر انَّ صلاة القديس افرام ودعوة اسقف المدينة (١ على العدوّ جلبتا عليه جيوشاً من البعوض والذباب فاضطرَّ ان يكفَّ عن الحصار فراراً من اذاها ويعود الى بلادهِ مغبوناً

ثمَّ انتقل القديس افرام من نصيبين الى مدينة الرها واجتمع ببعض شيوخ نسّاكها المعتزلين في ضواحي تلك الحاضرة الشهيرة وضارعهم زمناً في زهدهم وعيشتهم الشظفة الى ان دعاهُ الله الى ما هو افضل لمجدهِ تعالى وخير الكنيسة فلبَّى دعوته لكنَّهُ عاش في الرها بين تراكم الاشغال عيشة الزهاد فتتلمذ لهُ عدَّة رجال جعدوا العالم على مثالهِ وأولعوا بالحياة النسكيَّة ولهم وضع تلك الميامر العجيبة المعدودة بالمئات في سائر المواضيع الروحيَّة ولا سيَّما التوبة والموت والديونة والصوم والصلاة . وقد انشدهم افرام عند موتهِ وصاتهُ الاخيرة يحضُّهم فيها على الثبات في البرّ واعمال النسك منهم ابراهيم وآبا وسمعان ومارا وزينوبيوس وبحضورهم انتقل الى الله كيعقوب بين ابنائهِ اسباط اسرائيل

والشائع عند جمهور الكتبة انَّ القديس افرام لم يُرقَ في الدرجات الكنسيَّة فوق درجة الشمَّاس الانجيلي وقد ورد في صدر معظم اناشيدهِ هذا العنوان «قال افرام السوري الشمَّاس» . وكذا ورد ايضاً في بعض تراجم حياتهِ القديمة . على انَّ في هذا الامر نظراً ولا تخلو الشواهد على انهُ صار كاهناً . لنا على ذلك شهادة احد المعاصرين القديس امفيلوكيوس الذي سطَّر ترجمة حياة القديس باسيليوس احد اقمار

(١ ليس الاسقف المذكور القديس يعقوب الذي كان توفي سنة ٣٣٨ بل المدعو فولوجيز

الكنيسة اليونانية الثالثة وكان امفيلوكيوس من اصدقائه ففي الترجمة المذكورة يخبر عن سفر القديس افرام الى مدينة القيصرية ليشاهد اسقفها القديس باسيليوس ويحظى بواجهته . فسُرّ باسيليوس بنظر افرام ايّ سرور واطرأ امام شعبه حكمته وقداسته العجيبة ثم لم يزل يلحّ عليه حتى اضطرّه الى قبول سرّ الكهنوت من يده على انّ القديس افرام كتم الامر تواضعاً عن مواطنيه لمّا رجع الى الرها ولم يكشف الامر لاحد بل بقي في رتبة الشماسة الى آخر حياته . وقد جاء مثل ذلك في سنكسار الملك باسيليوس حيث يصرّح بكهنوت القديس افرام بوضع ايدي القديس باسيليوس . ومثلها احد مؤرخي القرن الثاني عشر في كتاب المرطقات يذكر ردود « القديس افرام الكاهن » على بدعة المأليين . وغير هؤلاء . ايضاً احدث عهداً ذكرهم البولنديون ( ر AS.IV.5 ) مع ترجيح الامر دون القطع به

ومما يؤيد نوعاً هذا الرأي ما رواه المؤرخ سوزومان القريب من عهد القديس افرام ( ك ٣ ف ١٥ ) ان سكّان الرها لما مات اسقفهم تألبوا عليه ليقيموه اسقفاً على مدينتهم لولا ان القديس تظاهر بالحمق واختلال العقل ثمّ فرّ الى البرّيّة وبقي مختفياً ريثما يتمّ انتخاب اسقف جديد فعرفوا انّ جنونه حكمة سماويّة . فاجماع الرهاويين على انتخاب القديس افرام الى الاسقفيّة يقرّب الى الظنّ رسامته كاهناً والله اعلم

## ٣ ملفانه الكنسيّ

لا مراء في انّ القديس افرام عُدّ منذ وفاته بل قبلها معلماً سامياً في الكنيسة السريانية حتى تسمّوه بنبيّ السريان وشمس الأمة السريانيّة وعمود كنيستها . ثمّ انّ تآليفه لم تنحصر بين الناطقين باللغة السريانيّة بل اسرع المترجمون فنقلوها الى اللغات الشائعة في الكنيسة الكاثوليكيّة كاليونانيّة واللاتينيّة والقبطيّة والارمنيّة والكرجيّة وفيها كلّها ميامر وعظات واناشيد قد ضاع من بعضها اصلها السريانيّ . وهذا لعمري شرف عظيم قلّما امتاز به غيره من علماء الكنيسة . ولنا في اقوال القدماء عن اعمال القديس افرام ما يدلّ على اعتبارهم لها وتفضيلها على كثير غيرها كالقديس ايرونيموس والقديس يوحنا فم الذهب والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس النيصصي وتاودوريطس اسقف قورش وسوزومان المؤرخ . وقد بلغ

ثناؤهم على كتاباتهِ الى تأثيرهم لها على تآليف حكماء اليونان قال القديس غريغوريوس: « انك لو نقلتَ ما كتبهُ مشاهير اليونان الى لغة اخرى انبَّد رونقهُ ويبس لبابهُ بخلاف مصنَّفات القديس افرام فانَّها لا تفقد محاسنها في ايّ لغة كانت » . وافضلُ من هذا ما كتبهُ عنهُ القديس ايرونيموس قال: « افرام شمَّاس كنيسة الرها الَّف في السريانيَّة عددًا وافرًا من التآليف . وقد بلغ صيتهُ في بعض الكنائس الى انَّها تتلو علانيةً ميامرهُ بعد تلاوة نبوّات الكتاب المقدَّس وكتابات الرسل . وقد قرأتُ لهُ كتابًا في الروح القدس منقولاً الى اليونانيَّة فعرفتُ من الترجمة ما يتضمَّنهُ الاصل من القوَّة وسموّ المعاني »

امَّا العلوم التي أتقنها القديس افرام فهي خصوصًا العلوم الدينيَّة لم يَفتْهُ منها شيءٌ اخذها في نصيبين عن استاذهِ الكبير القديس يعقوب اسقفها الشهير بتآليفهِ ثم اتَّسع فيها بدرسهِ الخاصّ للاسفار الالهيَّة حتى بلغ منها مبلغًا لم يبلغهُ الَّا القليلون فقضوا منهُ العجب بل نسبوا علمهُ الى الروح القدس الذي كان يوحي اليهِ بالعلم السماويّ . وقد اخبر عنهُ القديس غريغوريوس انَّ رجلًا من الاولياء رأى ملائكةً هبطوا من السماء وبايديهم مصحفٌ جليل يحتوي باطنًا وظاهرًا ابلغ المعاني وابدع الحكم واذ سُئلوا الى ايّ من كبار ذلك العصر يسلّمون الكتاب اجابوا انهُ مرسل من الله الى عبدهِ افرام . فلما تسلَّمهُ انطلق بهِ لسانهُ واضحى فريد عصرهِ في العلوم الدينيَّة

ومع تعمُّق القديس افرام بالعلوم النصرانيَّة لم يهمل العلوم الدنيويَّة لاسيَّما البلاغة والبيان كما يظهر من تآليفهِ الجمَّة فانهُ يسحر ألباب القرَّاء بألفاظها الرائقة ومعانيها الفائقة ونفسها الشعري . وكذلك الفلسفة درسها وعرف اسرارها وهذا ما سهَّل لهُ الردّ على اضاليل مبتدعي زمانهِ . والحقُّ يقال انَّ اقوالهُ تتدفَّق كالعيون المتفجرة والانهار الزاخرة يتفنَّن فيها كيفما شاء . وهو في كلّ ذلك لا يحيد عن تعاليم الكنيسة ذرَّةً تراهُ يصف اسرارها واغمض معتقداتها وَصْف ادقّ اللاهوتيين وارباب علم الكلام بحيث تُتخذ اقوالهُ حجَّةً لتأييد عقائد الكنيسة الرومانيَّة كرئاسة الحبر الاعظم على الكنيسة جمعاء وانبثاق الروح القدس من الآب والابن ووجود المطهر وحبل العذراء مريم بلا دنس وحقيقة القربان المقدَّس وغير ذلك مما جمعهُ بعض العلماء من ميامرهِ بيانًا لانطباق كلامهِ على معتقدات الكنيسة

ومّا اهّلهُ لرتبة الملفان على الكنيسة كلها تفاسيرهُ للكتب المقدَّسة شرحها شرحاً دقيقاً جمع فيهِ بين معانيها اللفظيَّة والمعنويَّة والادبيَّة والروحيَّة كُثر بالطبع كثيرٌ منها وامَّا فُقد بعضها لسوء الحظ

وامَّا فحص الاختصاصيُّون مؤخَّراً بامر قداسة البابا بندكتوس الخامس عشر كلَّ هذه الكتابات الافراميَّة اعلنوا بصوت واحد انَّ كاتبها يستحقّ ان يُعتبر ليس فقط كمامٍ لاحدى الكنائس بل كمرشد وملفان الكنيسة كلّها فصدَّق البابا على حكمهم

وهذه لعمري نعمةٌ لم تمنحها الكنيسة الّا القليل من ابنائها تحت شروط معلومة اخصُّها ثلاثة : (١) قداسة حياة الشخص المنعم عليهِ بذلك ٠ ٢ سموّ علومه التي امتاز بها فأضحى نوراً ساطعاً يُستضاء به في امور الدين دون ان يكون شذّ في شيءٍ من تعاليم الدين الجوهريَّة ٠ ٣ الاعلان بهذه الرتبة بحكم رسميّ من الكنيسة

## ٤ المجاهد

قال القديس بولس في رسالته الاولى لاهل كورنتس (١١: ١٩) : « لا بُدَّ من البدع فيما بينكم ليظهر فيكم المزكَّون » ٠ فهذه الآية قد تمَّت فعلاً في كل قرون الكنيسة ليُعرَف بها ابناء الله الحقيقيُّون من الكفرة والملحدين ٠ على انَّ هذه البدع

(١) دونك اسماء معلّمي الكنيسة وملافنتها وهم الآن اثنان وعشرون فقط : عُرف منهم في اجيال الكنيسة الاولى اربعة شرقيّين وهم القديسون اثناسيوس الاسكندري وباسيليوس القيصري وغريغوريوس النازينزي ويوحنا فم الذهب الانطاكي ٠ واربعة غربيّين وهم القديسون امبروسيوس الميلاني وايرونيموس واوغسطينوس اسقف ابونة وغريغوريوس الكبير بابا رومية ٠ ثمَّ أُضيف اليهم بحكم الاحبار الرومانيين القديس توما الاكويني (بحكم القديس بيوس الخامس سنة ١٥٦٨) ثمَّ القديس بوناونتورا الساروفيمي (بحكم سكستوس الخامس ١٥٨٨) ثمَّ القديس انسلموس اسقف كنتربوري (بحكم اقليميس الحادي عشر سنة ١٧٢٠) ثمَّ القديس بطرس خريسولوغوس اسقف رافنّا (بحكم بندكتوس الثالث عشر ١٧٢٩) ثمَّ القديس بطرس داميانوس (بحكم لاون الثاني عشر ١٨٢٨) ثمَّ القديس برناردوس (بحكم بيوس الثامن سنة ١٨٣٠) ثمَّ القديس ايلاريوس اسقف بواتيه (بحكم بيوس التاسع ١٨٥١) وبحكمه ايضاً القديسان الفونسيوس ليغوري وفرنسيس دي سال اسقف جنيفة (١٨٧١) ٠ ثمَّ كيرلُّس الاسكندري وكيرلُّس الاورشليمي ويوحنا الدمشقي بحكم البابا لاون الثالث عشر (١٨٨٣) وبحكمه سنة ١٨٩٩ القديس بيدا المكرَّم ٠ وكلُّ هؤلاء اساقفة او كهنة ٠ فان صحَّ كون القديس افرام كان شمَّاساً فيكون هو وحده ادنى الجميع رتبةً

لم تظهر في عهد آخر ظهورها في القرن الرابع بوَفرتها وحرّتها وبعطر القاتلين بها فعمّت كنائس الشرق وكادت تنفث فيها سمّها القتّال . وانما كان السبب في ذلك ان المتنصرين بارتدادهم عن الوثنية لم يستأصلوا من قلوبهم كلّ جذورها الفاسدة . لكنّ الله لم يهمل كنيسته واقام حينئذٍ اولئك المعلّمين الكبار الذين أصلوا الهرطقات حرباً عواناً ففنّدوا اضاليلها وقطعوا بسيف البرهان مزاعمها الباطلة

وقد توفّرت اذ ذاك هذه البدع في كنائس ما بين النهرين حتى اربت على العشرين بدعة فمنها ما كان من بقايا الأدريين ولا سيّما مرقيون وماني وبرديصان وحرمون ابنه ومنها ما كان حديث النشأة كبدعة آريوس التي انتشرت انتشاراً عظيماً في انحاء الشرق وبدعة ابوليناريوس وسابليوس وانوميوس وبولوناس وأرونداس والمساليين والبوليين وعَبَدة الحيّات ونحوهم وخصوصاً اليهود أعداء النصرانية . فاذ رآهم القديس افرام وعلم ما يبثّونه من التعاليم الكاذبة والآداب الفاسدة تصدّى لهم وكتب تلك المداريش العجيبة التي اماطت القناع عن خزعبلاتهم وحذّرت جمهور المؤمنين من فساد آرائهم وسوء آدابهم اذ فنّدهم تفنيداً لطيفاً تارة بالبرهان القاطع وتارة بالمجاز والتعريض وحيناً بالتهكّم وطوراً بالالتفات والفاوضة بحيث تنفذ ادلّته في قلوب السامعين نفوذ السهام الراشقة وتخطف الاذهان كخطف الشهب البارقة بينا هو يمزج كلامه بالمواعظ الليّنة والادعية الحارّة الى الله والستدعاء الخاطئ الى التوبة والضالّ الى حظيرة الايمان وحجر الكنيسة

وكانّ القديس سبق ونظر ما سيأتي في الكنيسة من البدع الجديدة فتسارع الى تقويض اركانها . فكم من الاضاليل البروتستانية ومزاعم كلوين ولوثاروس تجد سفسطتها مستأصلة بأقوال ملفان الكنيسة مئين من السنين قبل بروزها

وقد بلغ عدد مداريش القديس افرام ضد الهرطقات ٥٦ مدراشاً نشرها بالطبع الاب بطرس مبارك اليسوعي في الجزء الثاني من اعمال القديس افرام بالسريانية واللاتينية ( ص ٤٣٧ — ٥٥٩ ) نرى في كلّ منها ذلك الملفان يرصد اعقاب الهراطقة ويصف كلّاً منهم وصفاً حقيقاً به فيقبّح تعاليمه ويكشف خبثه ومآثمه فلا يدع له مناصاً لينجو من رشق نباله . ولله درّ القديس يوحنا فم الذهب حيث كتب في مديح القديس افرام : « انّ هذا الرجل العظيم يمتاز في كتاباته بما من شأنه ان يضرم النفوس

الفائزة الدليلة ويُنهض همّة الكروبين ويرشد النسّاك في طريقة الكمال ويدفع الخطأة الى التوبة ويُفحم البدع بسهامه الصائبة·

## ٥ الشاعر

قليلون هم ملافنة الكنيسة الذين امتازوا بالكتابة نثرًا ونظمًا معًا لا نعرف منهم في الكنيسة اليونانيّة غير القديس غريغوريوس النزينزي وفي الكنيسة اللاتينيّة القديس پرودنس · امّا القديس افرام فانّه كان مطبوعًا على الشعر حتى بلغ شعرهُ تسعة اعشار مجموع كتاباته · قال المؤرخ سوزومان انّ منظوماته بلغت ثلاثة الف ( tricies centenas myriades ) وهو لعمري عدد لا يُحتمل تصديقه ومع ما فيه من الغلوّ لا بُدَّ من القول انّه بلغ في ذلك ما لم يبلغه غيره فانّ ما بقي من قصائده يستغرق عدّة مجلّدات

والشعر السرياني القديم من نوع الزجليّات والموشّحات ينقسم الى ادوار يشتمل كلّ دور منها ابياتًا معلومة لكلّ بيت عددٌ محدّدٌ من التفاعيل · وهم يميّزون بين الميامر والمداريش والسوغيثات لكلّ منها ادوارها الخاصّة تختلف طولاً وعددًا في التفاعيل والاوزان يلزمها الشاعر على موجب الانغام وفنون الغناء دون التقفية غالبًا · هذا قبل تطوّر الشعر السرياني الذي اقدم فيه الشعراء بعد ذلك العهد التقفية وجروا على فنون العرب

وكان اوّل من قصّد القصائد عند السريان الشاعر الرهاوي برديصان اقتدى في وضعها بالشعر اليوناني وكان هو تربّى على آداب اليونان في القرن الثاني للمسيح فنظم الشعر السرياني على مثال معلّميه فراوح بين اعلى وطئه اي دواج وقام بعده حرمون ابنه وجرى على منواله فكان الرهاويون يتغنّون بأناشيدهما ويلقّنونها اولادهم · لكنّ برديصان وحرمون كانا من ذوي البدع فأدخلا في منظوماتهما اضاليل تعليمهما · فلمّا اراد القديس افرام مناهضتهما لم يرَ بُدًّا من درس الفنون الشعريّة التي جريا عليها وأتقنها واخذ ينظم بموجبها وكان بليغ اللسان ذا عارضة غريبة يقول الشعر بديهًا وبرجلة دون عناء · فألّف عددًا لا يُحصى من الاناشيد التي فنّد فيها مزاعم برديصان وحرمون وغيرهما من المبتدعين ثمّ علّمها ابناء وطنه فشاعت بينهم حتّى نسوا الاناشيد المراطقة واعتصموا بحبل الايمان المتين

ثم انتشرت اغاني افرام وتسابيحه ومنظوماته التي وضعها في كل اسرار الديانة المسيحيَّة ومواسمها واعيادها بالكلام المنسجم والتشابيه البديعة والمعاني المبتكرة فتهافتت اليها الكنائس السريانية وتغنَّت بها في فرائضها الدينية ورُتبها الكنسيَّة وقسمٌ كبير منها لا يزال حتَّى يومنا هذا من جملة الصلوات التي يتلوها الرهبان والاكليرس عند السريان والكلدان والموارنة . وجاء بعد القديس افرام القديس يعقوب السروجي وبالاي وغيرهما واضافا اليها شيئاً من منظوماتهما مقتفين آثار القديس افرام الذي انشأ في الرها مدرسةً لتهذيب الاحداث وتربية الشبيبة خرج منها عدَّة شعراء نسجوا على منواله . والعجب انَّ رقَّة شعره ومحاسن نظمه تُرى حتَّى في اللغات التي نُقلت اليها تآليفهُ . كما شهد على ذلك فوطيوس زعيم الكنيسة الاورثذكسيَّة الذي اطرأ في مكتبتهِ الشهيرة اعمال القديس افرام ووجد في كلامه مع قوَّة البرهان ودقة المعاني حسن البيان والنظر الصائب في انتقاء الالفاظ والصور الرائعة والتشابيه البديعة رغماً عمَّا يُفقدها النقل عن اصلها السرياني

وكان في فكرنا ان نروي هنا امثلةً من اقاويل القديس افرام ليعرف القرَّاء فضل ذلك النابغة الذي عُدَّ في زمانه بكنَّارة الروح القدس لولا انَّ ضيق المقام يضطرَّنا الى الوقوف عند حدّنا هذه المرَّة مؤجلين جني تلك الزهور العطرة والدرر الثمينة الى فرصة اخرى ان شاء الله (١ . وفي الختام نشكرهُ تعالى على ما منَّ به بتمجيد عبده القديس افرام الذي اتاح لنا الربّ في اواخر ايلول من السنة ١٩١٥ ان نتبرَّك بزيارة قبره عند مرورنا في الرها . ونتمنَّى ان وضع هذا السراج المنير على منارة الكنيسة الكاثوليكيَّة ينعش في قلوب اهل الشرق الرغبة في درس تآليفه والاقتداء بسموّ فضائله ويردّ من تخلَّف منهم عن جادَّة الصواب كاليعاقبة والنساطرة الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة التي كان القديس افرام ابنها الامين الى آخر نفس من حياته

---

(١ راجع ما كتبناهُ سابقاً في احد آثاره اعني مقالاته في البتوليَّة التي نشرها غبطة البطريرك افتاطيوس افرام الثاني الرحماني ( المشرق ١٠ [١٩٠٧]: ٢٢٠-٣٠٠ )

# رحلة الامير بشير الاولى الى مصر

للشيخ سلّوم الدحداح

. نشرها جناب الاديب الشيخ سليم الدحداح (تابع)

ومصباح الاحد نبّه الصدر الاعظم على جميع قوّاد العساكر تحضر في العُدد والخيل كلٌّ وجاق (١ بوجاقه وكل رتبة برتبتها ويعملون آلاي من صيوان (٢ السور الى قناق (٣ الكومنده وكان مسافة ساعة . وعملوا آلاي على الصفّين وفتحوا زقاق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير فكان موكباً يدهش النظر . وركب الكومنده وصحبتهُ عشرة جنراليّة فرنساويّة وقدّامهم السنجق من قناق الكومنده الى صيوان الوزير . ومن بعد المفاوضة امر الوزير باحد عشر كُرك سمُّور (٤ عظام الى الكومنده والعشرة الجنرالية الفرنساويّة . والى ترجمان الكومنده فرو اقاقون (٥ . ثمَّ رجع الكومنده وصحبتهُ تلك (اولئك) الفرنساويين الى قناقه بين تلك الآلاي . ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير بتلك (بذاك) الاتفاق . وفي ثاني يوم توجّهوا الفرنساويه راكبين هجن

وعند الظهر ابتدأت المناداة في العرضي انَّ القيام بعد اربعة ايام فيسير جميع الاوردي الى قطية (٦ وهي مسافة يومين من العريش وانَّ ناصيف باشا العظم (صار) والي مصر وانهُ يقوم الى الصالحيّة لبين ما تخرج الفرنساويّة من مصر الى الاسكندريّة

ثمَّ حضر الكومنده لعند الامير وافهمهُ انَّ نهار بكره يرجع من قناقه لتسيم

---

١) اصل الوجاق موضع النار ثمَّ اطلقهُ الاتراك على الفرقة العسكريّة المجتمعة حولها

٢) الآلاي المشورة والموكب في التركيّة . والصيوان فارسيّة اصلها سايبان ومعناها الخيمة والجوسق ٣) القناق والصواب قوناق بالتركيّة المنزل والمقام والقصر

٤) الكرك الفروة . والسمُّور (martre) حيوان صغير تُصنع من جلده الناعم الفراء الثمينة

٥) من آق التركيّة اي الابيض

٦) قطية بلدة صغيرة على ساحل البحر بين العريش وغزّة

اغراض الامير ورجع الى قناقه . وفي ثاني الأيام ارسلني الامير الى عند الكومنده فسرتُ وعند وصولي رأيت عندهُ عثمان بيك الاشقر الذي قد كان حضر الى بتدين حين كانوا الافرنج على عكا فحين نظرتهُ تعوقت الى ان قضى اشغالهُ وانصرف . فدخلتُ عند الكومنده فأفهمني انهُ صار مرادهُ يسافر في البحر وانّ الامير ان اراد السفر في البرّ له الاختيار فاعتذرتُ له فسار الى عند الوزير ولما رجعتُ افهمت الامير . وبعد حضور الكومندو لعند الوزير الاعظم حضر الى عند الامير فافهمه انّ سفر البرّ مشقة عليه وسفر البحر انسب له وجرى بينه وبينه جملة مفاوضات سرّية

ثمّ توجّه الكومندو الى مركب البلوق وتوجّه الامير يودّع الكاخية فلاقى معهُ كلّ اكرام واجتمع به ساعةً . ثم امر احد خدمهِ ان يستأذن الصدر الاعظم في الدخول عليه فرجع الرسول يعزم الامير . فسار الى خيمة النامة فاذن له بالدخول واجلسهُ بحدّ فرشته وبدأ يكلمهُ بالعربي قائلًا : يا امير انت ولد مخصوص لي . ثمّ امر الوزير ان لا احد يبقى بقرب الخيمة وتكلّم معهُ بامور لا احد منّا عرفها ثمّ نهض الامير وقبّل اتكهُ وانصرف . وافهم الوزير الى الترجمان : اني كنتُ اظنّ انّ الامير بشير مثل بقيّة اولاد العرب ففي مدّة حياتي لم نظرتُ شخص مهذّب مقبول حلو الالفاظ مثل هذا الرجل . وقال لي الكاخية : يا بازجي انّ الامير بشير فريد كامل المحاسن كما كنّا نسمع عنهُ ومرادي ان تقول له لا يحمل همّ . وقسم لي يمين في النبي محمّد انهُ حين يراهُ يفرح قلبه . وبعد انصراف الامير فرّق البخاشيش وبتنا تلك الليلة

وصباح الاثنين حضر قبال من عند الكومندو يعزم الامير الى المركب فسار حالًا نحو البحر . فحين نظر الكاخية الامير سائرًا امر حالًا لرِجاله ان يقدّموا له حصانًا من خيله بالعدّة الكاملة فركب الامير الى حدّ البحر ورجع الحصان ونزلنا في القلاييك الى المركب الذي كان اتى بالذخيرة لأن الكومندو رآه اهدى وقال للامير : يسير الى يافا وهناك تنزل الى مركبي . ثمّ في السيرة حضر الكومندو لعند الامير وبيده مكتوب من قنصل بيروت يذكر به انّ عساكر الجزّار سارت الى بلاد جبيل والامير حسن ومن معهُ انهزموا الى حافيتا

ثمّ انّ قبل نصف الليل قلع المركب فوصلنا في الليل الثاني الى يافا . وكان مسافر معنا في المركب افندي مرسلة الصدر الاعظم الى الدولة العليّة يخبر في تصريف امر

مصر . وافندي ثاني مرسلة الى الاسكندريّة كي يبقى يعطي للمراكب الذي يوسقوا الفرنساويّة اوامر بعدم المعارضة لهم . وفي وصولنا الى قبال يافا حضر قبـال يعزم الامير ليتزل الى مركب الكومنده فسار الامير وخدمهُ حالًا وفي وصولنا قوّس المركب تسعة مدافع ولاقاهُ الى رأس الدرج وترحّب به وانزلهُ عندهُ في الكامرة الذي هي مكان منامته وجعل ستار قماش هندي بينهُ وبين الامير وقدّم لهُ علبة الماس ثمينة واعطى الى الشيخ نجم قطعة قماش والى الفقير قطعة

ثمّ ليلة الخميس قلع المركب من يافا طالبين قبرص فاصبح المركب قبـال الكرمل ومصباح الاحد وصلنا الى قبـال روشن (١ بيروت فقوّس مدفع نيشان كي يحضر القنصل الى عنده وحالًا نزل القنصل وبو حسن رئيس المينا في فلوكه وحضروا الى عندنا واخبرونا انّ الامير حسين متوجّه الى دير القمر . حرّر الامير الى اخوه يخبرهُ عن وصوله الى العريش وكلّ ما توقّع معهُ ولكن ما شرح له عن شيءٍ خوفاً من وقوع المكتوب (في ايدي احد) وعرّفهُ انه متوجّه الى الاسكندريّة ; وتوجّه في المكتوب مرعي بو ملهب وجرجس شاول لطرابلس في البحر

ونهـار الاحد نصبوا على المركب شنده (٢ من صوف ابيض وازرق واحمر جلّلت ظهر المركب ونصبوا كراسي وعملوا قراية مجلّلة بستر ووضعوا عليها الانجيل والزبور وطلع الخوري لابس قميص سودا واستقامت الصلاة ساعتين (٣

وفي نهار الاثنين والمركب سائر في الواسطة التي في اتّلياطة القادمة من العريش وكان بها البـادري نقولا القدسي (٤ فاكرمهُ الكومنده وترحّب به وكلّفه بجلسهُ على المائدة معهُ . وقد اخبر عن قيام اوردي همايون (٥ من العريش الى قطية . ثمّ نهار الثلثاء اصبح المركب على الماغوصة (٦ ومصباح الاربعة قبـال المّلاحة (٧

---

١) الروشن القرنة (قاريبة)
٢) هي خيمة السفينة ، من الايطاليّة (tenda)
٣) هي صلاة الاحد عند الانكليكان ٤) لعلّهُ احد رؤساء الرهبان الفرنسيسكان
٥) الاوردو الهمايون هو الجيش التركي الذي في وسطهِ السلطان او احد كبار الوزراء . ومعناهُ الجيش السعيد
٦) الماغوصة فرضة قبرس الشرقيّة يدعوها الفرنج Famagouste
٧) المّلاحة (Salines) بينا مدينة لرنكا في قبرس يدعوها la Scala

وبقي الى الغروب حتى قدد رمي المرسى · وكان في الميناء جملة مراكب انكليز وغساوي ومسكب وشاه فعملوا شنك (١ مدافع في البحر والبر لقدوم الكومنده

وصباح الخميس عزم الكومنده الامير كي ينزل الى البر يشم الهواء وارسل الى القنصل ينزل له حارة في الارنكه (٢ وارسل معه قبطان كغ (٣ يمشي قدامه للشاق وارسل معه اربعة عسكر بقوا واقفين امامه وترجمان يستقيم عنده · وفي وصول الامير الى دار القنصل للملاحة اجتمعوا سائر اكابر الانكليز الى عند الامير واتت حرمة القنصل بلبوس عظيم سلمت على الامير · ثم حضرت العربانات وتوجهنا الى الارنكه لعند ابن القنصل الكبير المتوفى وهو ولد بشوش ابن اثنتي عشر سنة فالتقوا الامير هو ووالدته بكل اكرام

وقد كان حين الامير نزل الى البر ارسل له الكومنده الف ذهب اسطنبولي خرجية البر · ثم نزل الامير في دار سوسان عمة ذلك الصبي وابتدأ يحضروا القناصل من جميع الطوايف والمادامات (٤ يسلمون على الامير ويهنوه بالسلامة · وتوجه الامير الى طواحين الارنكا لان مطرحهم مفرج وتفرجنا على محلات يطول منهم الشرح · وكان حين يمر الامير يقفون الجميع في الاسواق يأخذون السلام كعادة الوزراء وان كان احد راكباً يحول حالاً · ثم في ثاني الايام حضروا قباطين المراكب من قبل الكومنده يسألوا عن خاطر الامير وان كان المطرح مناسب ام لا وان كان حضروا جميع الطوائف سلموا عليه ام لا · فتشكر بخير الكومنده واخبرهم انه حاصل على كل اكرام وانشراح

ثم في ثاني الايام حضر الترجمان من عند الكومنده يخبر الامير انه كان نزل في البياده (٥ ليحضر لعنده فما امكنه من النوء · ثم صباح الثلثاء حضر قبودان

---

١) اي قشنة وترحاب

٢) الارنكة هي مدينة لرنكا من حواضر قبرص

٣) هذا اسم شرف كان الاتراك يطلقونه على امراء البحر الذين في خدمة الدولة

٤) المادامات تعريب الفرنسوية Madame ولعلها تصحيف للمادامات

٥) البياده هم المشاة من الجند فارسية الاصل

كثر وعن يده مغلّف مكاتيب اجت الى الامير من بلاد الدروز من اكابر الديره (١ ويسأل عن لسان الكومندو بان الامير يعرّفه عن الاخبار الذي في تلك المكاتيب. فردّ الامير جوابه ان الشرح طويل ولكن حين ينزل الى البرّ يعرضهم عليه . وكان كلّ من يحضر في البحر يخرج يتفرّج على الامير ويسلّم عليه . وحضر جاويش قبودان (٢ وطلب مواجهة الامير وافهمني في التركي انّ الانكليز مقدّمين صورة الامر الى قبودان باشي (٣ عمارة العمّاره . وارسلني لكي انظر الامير هل هو على موجب الصورة ام لا لانّ سعادة قبودان باشي هَلْ قَدر ابتهج من تلك الصورة . فعزمتهُ ودخل سلّم على الامير وقال لي: بالحقيقة انّ صورته اعظم من الصورة. ثمّ انصرف

وصباح الاربعاء ارسل الامير فرنسيس دميان يسأل الكومندو ان كان هو متعوّق في البحر حتى يوجّه له المكاتيب . فحضر الكومندو حالًا الى اللّاحة وعند الغروب حضر لعند الامير وصحبتهُ موسى رَيْت (٤ والقنصل وقيال وبقي ساعة ورجع وان على بكرة يرجع ليقروا المكاتيب فقال له الامير : انا الصبح اتوجّه لعندك . والكومندو يقول : انا احضر لعندك . ثمّ ثاني الايّام الصبح حضر اهالي البلد يسلّموا على الكومندو فما صار فضاوة . وصباح الجمعة قصد الامير يسبق وتوجّه لعند الكومندو وفي وصوله اخبروه ان الكومندو بعده في الفرشة . وحين علم بقدوم الامير ارسل يعزمه الى عنده . فقال الامير : انا منشرح ها هنا الى ان يكون قام من النوم . فما قبل الكومندو ولزّ على الامير في الدخول بلجاجة والامير يعتفي من الدخول فما امكن حتى دخل وقابله وهو في ثياب النوم فقال الى الترجمان : ان ليس هي عادة اقابل وانا في الفرشه ولكن المحبّة تخرق العوائد . ثمّ اخبره عن التحارير الذي حضرت من البلاد وتفاوضوا في كلّ شيء وتفارقوا ( وتوافقوا ؟ ) على تحرير الجوابات لأنّ الامير لم كان ينافي الكومندو في شيء

١) الديره في لغة العامّة المقاطعة والايالة اصلها الدائرة
٢) اي القبطان الحاجب
٣) اي رئيس امراء البحر
٤) موسى رَيْت (Wright) كان ترجمان القومندان سميث ويظهر من اسمه انّهُ كان انكليزيًا

ثمّ رجع الامير الى قناقه وفي السهرة ارسل له مكتوب من قنصل طرابلس وداخله مكتوب من الشيخ بشير جنبلاط ذاكر فيه من الضيم الذي حصل لهم وان البرد (كذا) الذي من عبدالله باشا ما احد اعتبرها في ايالة طرابلس وانهم استقاموا ثلاثة ليالي في الشيخ عياش (١ تحت المطر . فاغتمّ الامير من ذلك

وصباح السبت حضر فرقاطه من سيسيليا بكتابات الى الكومنده من سر عسكر الكبير (٢ ان لا يقبل هذا الصرف من الفرنساويّة ولازم يأخذهم لسرى وهذه صورتها:

« ايها الاخ المحبوب اذ قد وصلني مكتوبك وبه تذكر انّه حسب التخليص المعنى لك من ديوان الملك العالي انك تُخرج الفرنساويّة من مصر بايّ طريقة تراها مناسبة وانك قد فهمت من آكران (٣ وزير الشفه انهم راسلوا الفرنساويّة على الصلح وانهم يخرجوا من مصر الى بلادهم احرار بكافة غنائمهم وانّه قد اختار هو الصرف على القتال وانّه من حيث حال الحاضر الوقتيّة انت معه وانّه اذا مرّوا الفرنساويّة لا تعارضهم . والحال انّ الامر الذي عندي من الديوان العالي انّ الفرنساوية الذين في مصر لازم يذهبوا بالسيف ام يخرجوا اسرى . واعلم انّه ان وصلوا الى هذا الطرف لاجل اعتبارك لم نستأسرهم بل نرجعهم تتقدمهم المراكب في مصر . والا لاجل خاطرك حرّرت عرضحال مع عرضحالك الى الديوان العالي انهم يقبلوا رجاك بهذا الصرف ولكن على امر يستصعب جدًّا لانّه متعلّق مع باقي الملوك فيجب بحال وقوفك على جوابنا تملي خبر الى آكران الوزير انّ هذا الصرف غير مقبول والى سر عسكرهم كليبر ان هل تعرف لا يتمّ »

ثمّ صباح الاحد ارسلني الامير انا والترجمان الى عند الكومنده ومن زود العجق لم قدرتُ افهمه ما فهمته من الامير . ثمّ من بعد ساعة زائدة قال لي: انا بعد الغداء اتوجّه لعنده . ثمّ بعد الظهر حضر واجتمع مع الامير وحرّروا كتابات الى الامير حسن (٤ وان يتوجّه حسين الداهوك الى طرابلس . وبعد رجوع الكومنده

---

١) الشيخ عياش من قرى ايالة طرابلس

٢) هو الاميرال تأسون الشهير الذي ضرب الاسطول الفرنساوي في ابي قير فدمّره سنة ١٧٩٨ . ومكتوبه المذكور هنا هو الذي عدّه الجنرال كليبر تعدّيا وخيانة بعد ان وعدوهم بالامان فحمل بجنوده على الاتراك والانكليز برًّا في هليوبوليس فكبّدهم الخسائر الفادحة

٣) لم نقف على اخبار هذا الوزير . والشفه هو المسمّاه في بلاد الشام كالعثمانلي وفي التركيّة طاقي

٤) الامير حسن اخو الامير بشير

حضر ترجمان من عند متسلم قبرص يرزم سعادته ويسأل خاطره وان يستقيم الى ان يفرجها الباري وهو يقدم له ما يحتاج. فاستكثر الامير خيره وامر للرسول بفرجية. ثم مصباح الثلثاء. حضر الكومنده يفهم الامير انّ مراده يرجع الى المركب وان متى اعتمد على السفر يرسل له القلايك

وفي الارتكه فيه عادة ملاعب فتفرجوا الخدم. وحين نظر كبرالرة (١ انّ الامير زعلان جاب له صندوق داخله صور الممالك كان جابه قديماً والده الى عليّ بك عزيز مصر (٢ فتفرج الامير على ذلك ورجعه. وبقي الامير ثلاثة ايام ومن المطر لم يمكن تسهيل الى السفر. وفي نهار الجمعة حضر قنصل الانكليز وبيده الفرمان الشريف من سعادة الوزير الاعظم الى محافظ قبرص فحواه • انّ الامير بشير الشهابي حضر الى اوردي همايون وصودف في وصوله قيام الاوردي المنصور الى الصالحية (٣ وبما ان مزاجه منحرف اقتضى انه يتوجه في البحر ويمكن يطلع الى جزيرة قبرص ليرتاح من سفر البحر فالمراد ان حضر اليها تسوقوا معه كلّ اكرام وكلّ واجب وملاحظة. وان وقع في حقه ادنى امر تبقى انت تحت عائدة الدولة العلية الى ان يطيب خاطره بالانصراف بكلّ صحة وامان. وهذه اعزّ الخدمات منك لدينا ولكن متحذر في امرنا هذا ومتيقظ من المخالفة •

وهذا الفرمان حين فهم الكومنده تضعضع احوال الامير حسن افتكر انه يميل في الامير الى قبرص ليأخذ راحة ويحرر الى اخوه فارسل الى ترجمان موسى دبث فاعرض الى سعادة الصدر الاعظم واخرج ذلك الفرمان وارسله تحت يد القنصل. وحين رآه الامير ارسله الى جناب الكومنده فردّ جواب انه بكرة اذا كان الطقس طيب ارسل الى الامير القلايك وانّ هذا الفرمان يبقى مع القنصل

١) كذا في الاصل ولم نستدل على الشخص المقصود هنا

٢) علي بك هذا كان نصرانياً وقع صغيراً في ايدي النخاسين فباعوه في مصر لبعض مماليكها فتقدم عنده ورافق معه الحجاج فخلّصهم من غارات الاعراب ثم تقدم في مناصب الدولة حتى اصبح احد امرائها وثار على الدولة التركية وصار في يده الحلّ والربط وحالف ظاهر العمر صاحب عكة واستولى على الحرمين وقدم من بلاد الشام حتى حاربه احد عماله الذهبي بابي ذهب فقتله ومات سنة ١٧٧٣

٣) مدينة صغيرة على طريق القفل السائر من مصر الى الشام

ونهار السبت اوّل اذار حضر فيساليه في الفلايك يعزموا الامير الى المركب فنهض الامير حالاً وسار الى عند القنصل ودَّعهُ وفرّق بخاشيش على اصحاب المحل والبسقيه (١ والدائرة وفي المينا ثمّ نزل الى المركب ولاقاه الكومنده حسب العادة. ومصباح الاحد حضروا القناصل واكثر اهالي البلاد ودَّعوا الكومنده . والمساء حضر الترجمان يقول لي انّ الرزّ في برّ الشام قليل والكومنده مراده ان يرسل رزّ الى بيوت الامير واخوه وطلب ان تنفهمهُ تحت يد مَن يرسله . فاستكثر الامير خيره وما امكن يقبل . ومصباح الاثنين قلع المركب من اللّاحة متوجه الى الاسكندريّة

وفي تلك الايّام وصل مركب من البلاد واخبر الكومنده انهُ خرج عمارة فرنساويّة الى هذه النواحي . وفي تلك الليلة حدث ريح عاصف وفي النهار صار المركب في المواسطة وابتدوا يستعدوا للحرب لانهُ بان مراكب من بعد فدخلوا القباطين فيقّوا الكومنده من النوم . فاخذ الناضور وطلع الى الساري وبعد برهة نزل واخبر الامير انّنا على رشيد (٢ والمراكب فرنساويّة ومعهم اذن منّي ان ينقلوا اثقالهم من دمياط الى الاسكندريّة . ثمّ بعد ساعة ظهر مركب باليك فرجع الكومنده الى الساري والناضور بايده فعرف انهُ مركب تيشيس . وفي عصريّة ذلك النهار صار المركب على جنب فنده على القبودان في البرق ان متى هجع البحر يحضر لعنده . وفي الليل صار نوّ عظيم وكبر البحر فاصبح الجمعة قبال البرّ المصري والبحر كبير جدّاً . وفي نهاره حضر القبودان وافهم الكومنده انهُ جاب صورة الجزّار وفرّجنا اياها . والعصر امر ان يرفع بندية اشارة ان قبودان مركب التيشيس وقبودان مركب الباريلك يحضروا لعنده فحضروا وصحبتهم الافندي الذي متوجّه الى الاسكندرية كما ذكرنا عنهُ ليعطي اوامر السفر الى الفرنساويّة وبعد ما واجهوا الكومنده رجعوا الى مراكبهم (التتمة لعدد آخر)

---

١) البسقية هم خدّام الوزراء والقناصل . اصلها من يساق ومعناهـا الامر والنظام اي المأمورون

٢) رشيد إحدى مدن مصر الساحليّة الشهيرة

# اوهام الدارس بعد شهادة المدارس

لهنري مايلهاك معرّبة بقلم الاديب ميشال افندي شبلي

قرأتُ للكاتب الافرنسي هنري مايلهاك ( H. Meilhac ) مقالاً أعجبتْ بمعناهُ ومبناهُ صاغهُ الكاتب بقالب رسالة لحفيدٍ قد حاز الشهادة العاليّة فجاء حقيقة صائبة بما يصادفه السواد الاعظم من متخرّجي المدارس من انسداد ابواب الرزق امامهم . وذلك لعمري من آفات بلادنا على الاخصّ ففي كل سنة يخرج من مكاتب الدرس مئات من المنتهين وبيدهم الشهادات فيأخذون في البحث عن طريقة شريفة تمكّنهم من اكتساب معاشهم فصاحب النصيب هو الذي يمكنهُ ان يكون كاتباً في محل تجاري او كاتباً في دائرة يدفن فيها ذكاءهُ وعلمهُ براتب هو دون الطفيف قلّما يكفيه لسد احتياجاته . ومَن تأبى عليه نفسهُ ذلك لا يجد امامهُ سوى ركوب متن البحار بجانب القروي المهاجر الى ديار الغربة حيث يوقف هناك ما هو عليه من مقدرة ونشاط في خدمة بلاد غريبة

أما إصلاح هذا الخلل فهو من الضروريّات القصوى وهو بلا مشاحّة في التعليم الكافي والتخصّص بفرع او صناعة معلومة يكون من ورائها النفع الشخصي العمومي ثم الثبات في مزاولة العمل . وهاك نصّ تلك الرسالة :

يا حفيدي العزيز

قد علمتُ بانك قدّمت الفحص على دروسك ونجحت فاني اهنئك فيها انك تترك منضدة الدرس وتصير رجلاً غير اني انصحك بألّا تخال ذاتك مدعوّاً وكفوءاً لمزاولة كل الاعمال لانك قد حزت قصب السبق في الترجمة او لانك تفوّقت في الكتابة لانه يجب على من يريد ان يسود في العالم ان يجتاز بغير الاوليّة في دروسه ولا تظن بانه يكفيك لتملك عنان المستقبل ان تكون حائزاً على الشهادة . لا فاني حزتُها قبلك وان معي شهادة العلوم والمعارف وشهادة المحاماة ايضاً فاذا نفعني كل ذلك ؟ . انه حملني بعد ما حاولت مزاولة مهن عديدة غريبة ان اوقف ذاتي اخيراً في خدمة الاتراك واني الآن اسرد لك باختصار ما آلت اليه حالي قبل ان اصير تركيّاً واتمنى ان

يكون لك هذا الدرس نافعاً ويجعلك حكيماً مدرباً فيسهل عليك ادراك فهم امور هذه الحياة على العموم وخصوصاً حياة امثالك المتهين من دروسهم

حزتُ انا على الشهادة الدرسية وكان عمري ثماني عشرة سنة . . وكان اليوم المعدّ لتقديم الفحص النهائي يوماً ممطراً وكانت الثلوج تتراكم في الازقة . فتأففت من ذلك عند خروجي من باب الكلية وقلت ما اكثر الثلج والاوحال فانها تضايقنا . وكان ذلك على مسمع من احد مأموري التنظيف فالتفتَ اليَّ وقال: سنأتي على تنظيف هذا كلّه قبل المساء واذا احتجنا الى عملة وفعلة فاننا سنجد غدا حتى ثلاثة الآف عامل من متخرجي المدرسة الجدد الذين سيأتوننا طالبين عملا . فمددتُ في نفسي هذه الكلمة وقاحةً منه ولكن بالاسف فانه لم يطل بي الامر حتى ظهرت لي حقيقتها المحزنة

وكنت قد انكببتُ منذ خروجي من المدرسة على درس الحقوق مدى سبع سنوات لم احتج فيها الى فتح بشهاداتي . وبعدها اخيراً صرتُ في مصاف المحامين . فأتى اليوم الذي وجب عليَّ به ان اقف مدافعاً لاول مرّة وذلك عن شخص اخذ من اخر بعض آنية وانكرها عليه . وكنت وَجِلاً في تلك الساعة بهذا المقدار حتى اني اتّشحتُ بثوب قصير لم يبلغ ركبتيَّ فكان ذلك مدعاةً للضحك حال دخولي قاعة المحكمة . فنبّهني احد اصدقائي بلطف الى وجوب ابداله . فذهبتُ وابدلته بثوب آخر كان هذه المرة طويلاً حتى اني عند الدخول عثرتُ باذياله وانطرحت في القاعة وبوسعك ان تدرك كم احدث ذلك من الضحك حتى ان القضاة لم يلبثوا ان برّأوا ساحة الذي كنت ادافع عنه مثل مكافأة لي على إضحاكهم . فربحتُ القضية بدون سابق امل بذلك . ولكن رغم هذا النجاح ظللتُ احسب ذاتي دون مهنة المحاماة وكتبت بذلك لأهلي . فجاءني جوابهم وفيه هذه العبارة ومؤدّاها «ان السنّة الطبيعة تقضي بان افراخ العصافير عندما تنبت جوانحها يجب ان تقوم هذاتها بجميع احتياجاتها» . فهذا المثال جعلني ان افكر ملياً وكنت اعلم بانه ليس لي ان اطيل اتّكالي عليهم فرأيتهم على صواب برغبتهم في ان يروني اقوم وحدي بأودي وكيف لا يمكن ذلك؟ ومن تراه يظن بان رجلاً مثلي بيده الشهادات العلميّة وهو مع هذا عاجز لا يستطيع ان يكتسب بسنة مثل ما يكتسب التاجر؟ فقلت في ذاتي: يجب ان يكون في جناحي قوّة الطيران

وكان آنئذ ان الاستاذ الذي درستُ عليه القراءة محتاجٌ الى معلم بعد ما تركه لاحتراق التجارة المعلم الذي كان عنده فطلبتُ ذلك المحل وادركتُهُ بفضل اثقالي العلمية وكان كسبي منه ثلاثين فرنكاً شهرياً مع اكلي وشغل اربعة عشرة ساعة في النهار فتدرّمت اولاً بقوّة الارادة واحتملت ذلك في الشهر الاول ولكني اقرّ ان صبري نفد في اخره فتركت الاستاذ وتلاميذه غير مأسوف عليهم . وعددتُ ذاتي سعيداً بالدخول حالاً في حاشية بعض الوجهاء لتعليم احد اولاده مبادئ اللغات القديمة . فكان ذلك احسن من الحال الاول ولكني لسوء الحظ لم اتمكن من الاتفاق مع تلميذي الجديد وما عتّموا ان نبذوني من الخدمة

واخبروني اذ ذاك ان في احدى النظارات اشغالاً هامّة يطلبون لقضائها الاكفاء . فقصدتُها حالاً وقابلتُ احد المعاونين وكان على صدره وسام وعلى انفه نظارة زرقاء . فقلت له : اني اودّ الدخول في النظارة كمساعد واخذتُ اسرد له شهاداتي واعدد له معارفي . فقال لي : اكتب استدعاءك على ورقة لنتمكن من رؤية خطّك . وادار قفاه . فخرجتُ شاعراً بالاهانة . ومع ذلك كتبتُ استدعائي بخط جميل يحسدني عليه اشهر الخطّاطين ولبثتُ انتظر جوابه . وبعد ستة اسابيع تلقّيت خبر تعييني . وكان ان في مدة هذه الاسابيع لم اتمكن من العمل ولم أُرد ان أعلم اهلي بان شهاداتي تتركني اتضوّر جوعاً فتراكمت عليّ بعض الديون . اخيراً دخلت النظارة وقلبي يتطلّع الى ما ستحتاج اليه الحكومة من رجال بمقدرتي فقادني المعاون ذو النظّارة الزرقاء الى منضدة يعلوها كدّاسة اوراق وعلى كل منها رقمٌ معلوم فقال لي : عليك ان تنظم هذه الاعداد بترتيب الارقام وخرج . فوقفتُ افتكر بان هذه المهنة هي اولى باحد الاغبياء اكثر مما هي بدارس نابغة مثلي . ومع ذلك لم انبس ببنت شفة بل اخذت بترتيب تلك الاوراق ولم آتِ على اخرها الا بعد مضي نحو شهرين ونصف مع العمل اثنتي عشر ساعة في النهار وبعد ما اكملتُها اعلمتُ المعاون بذلك فقال لي : « حسناً وها اني ارسل لك ما تعمله » . واذا باثنين من خدَم النظارة اقبلا يقلّان عشر دفاتر رزماً جديدة من مثل تلك الاوراق تضاهي بل تنيف عن التي وجدتها يوم دخولي . فاحتدمتُ غيظاً ولكن كان يجب عليّ ان اتالك ذاتي

اما المعاون ذو النظّارة الزرقاء فقد كان مضحكاً بحركاته ولم يكن يدخل عليّ

مرةً دون ان يُسمع صوته الأجش مردداً هذه العبارة يريد بها التهكم قائلاً: « أما وجدتم الخطأ ؟ » . فاردت اخيراً ان أظهر له خطأه لعدم تقديره ما لي من الكفاءة فنظمتُ قطعة شعرية سخرية به وقرأتها لجاري في العمل وكان هذا ايضاً من ذوي الشهادات العلمية وكانت مهنته في النظارة قائمة بثقب اوراق مذيلة وربطها مع بعضها بخيوط حمراء . وكان ينشط احياناً في عمله فيحسدني على سهولة عملي . فوجد شعري مضحكاً واعجبه غير انه لم يخرج في المساء حتى اخذ يفتش عن المعاون واخبره بذلك .
وفي الغد جاء المعاون باكراً على خلاف عادته واستدعاني اليه ولوائح الغضب بادية بين عينيه وقال لي: بأني سأكون بلا شك شاعراً نحريراً ولكني لا اصلح للخدمة في النظارة وصرفني شاكراً خدماتي . وبينما انا منصرف رأيت رفيقي يترك ثقب اوراقه ويجلس مكاني لترتيب الاعداد

ولم يكن كسبي من النظارة سوى الزهيد ولكن بما ان العمل لم يكن يترك لي وقتاً لأسرف به راتبي تمكنتُ من ايفاء بعض ديوني . ثم عدتُ فوجدتُ ذاتي بدون عمل ولم يكن مَن يطالبني غير انه لم يكن لي من دخل ايضاً ومع ذلك لم آسف على ترك مكتب النظارة فقد قال لي المعاون باني اكون شاعراً . فقلت في ذاتي : ان ذلك في الحقيقة هو ميلي فسأقف ذاتي في خدمة الأدب ولم أعد لأفكر بان اقيد نفسي في كل مهنة تعرض لي على السواء . وكتبتُ روايةً شعريةً ذات فصل واحد جعلتُ بطلها المعاون ذا النظارة الزرقاء ، وحملتها الى مدير احدى جوقات التمثيل فقال لي : اني سأقرأها فاذا وافقتني ووجدتُ لك مساعداً على تمثيلها فلا بأس من ذلك ولكن يجب ان انبهك ان لديّ الآن ١١٧ روايةً من نوعها يجب ان يصير تمثيلها قبل روايتك . فتركتهُ وذهبت مفكراً بان اكرس ذاتي لفرع من الادب يكون لي منه نفع اوفر . فاهتديتُ الى كتبيّ كان يطبع مُعجماً اشبه بدائرة المعارف . فاعطاني كلمتين لاكتب عنهما ما يجب . وكانت احداهما كلمة « سليمان » تبتدئ بحرف السين والاخرى تبتدئ بحرف الكاف . فكتبتُ عن الاولى مقالاً ضافياً طويلاً جمعتُ من حيث تيسر ذلك وكتبتُ عن الكلمة الثانية بضعة اسطر حسبما اقتضى معناها فنقدني عنها ربع فرنك . اما المقال الاول الضافي الكبير عن سليمان فوعدني بدفع الاجرة عنه عندما يصل الى حرف السين « لأنَّ حرف الكاف قبل حرف السين عندهم

في الهجاء ) فسألته اين هو في حروف الهجاء، فقال انه لم يزل في حرف الباء ويعزمه ان يكتب كل سنة من حرفين من الهجاء، فقط . فطلبت ان يعطيني عملاً يُنقدني اجرته في الحال فاعطاني بعض كلمات لاكتب عنها وهي تبدأ بآخر حروف الهجاء . فشكرته وانصرفتُ وفكري ماشغل بما عساه ان يفيدني قوتي اليومي فرأيت ذاتي مضطراً كما تقول العامة لتعليق لساني بالسقف . واني اظن انه لو جاءني في تلك الساعة مأمور لتنظيف الشوارع وعرض عليّ عملاً لما ترددتُ رغم شهاداتي العلمية عن ان آخذ المكنسة والمِمسح وانضمّ الى مرؤوسيه . وجال بخاطري في تلك الساعة ان اذهب وآخذ محلاً بقرب الجسر لتنظيف الأحذية مع كتابة تشير الى انّ هنالك احد متخرجي المدرسة في العلوم والحاماة يكتظر كسب معاشه من جزّ صوف الكلاب . . .

وكان رأس السنة قد اقترب فاهتدى اليّ بائع حلويات وطلب مني ان انظم له امثالاً وحكماً يضعها في حلوياته فلم اعجز عن ذلك بفضل الاقل وتبديل مـا انقله ونقلتُ بعض قطع للاعراس والولائم والولادات حسب الظروف

وكان هذا آخر عهدي بالشعر لانه لم يكسبني خبزي واخذت اتأسف على ايام كنت فيها ارتب الاوراق في مكتب النظارة . وهذا الاسف ذكّرني بأني قد عملت الدخول في ذلـك المكتب المنحوس استدعاء لستلفت النظر لجمال كتابتي فافتكرتُ في انه يمكني ان اكون ناسخاً فطلبت ذلك وحصلت على مركز في احد مكاتب النسخ في غرفة ضيقة تفوح منها الروائح الكريهة فيها خمسة من النساخين الشيوخ ذوي اطواق وسخة وكان اثنان منهم ذوو شهـادات علمية مثلي ومثلك . فكانت لي معهم على الاخص علاقات وديّة وكان احدهم يبينة مهلة جداً لا يجيب مخاطبه الأ بهاتين الكلمتين مبتسماً : « ان الشيبة هذارة » . وكان الآخر يقول دائماً انه اكتشف على طريقة يمكنه بها ان يحصل على ثروة طائلة في همبورج غير ان نفقة الطريق كانت تنقصه دائماً للسفر الى هنالك . فقضيت سنة تقريباً في تلك الغرفـة انسخ لبعضهم . فكرات سفر او استدعاآت او حسابات واحياناً بعض روايات كانت تضجرنا اكثر من نسخ الحسابات

وبلغني في ذلك الحين موت احد اقاربي واني ارث منـه زهاء اثني عشر الف فرنك — فتركتُ من ساعتي ذلك العمل . ولم اعلم كيف عرف حالاً ذلك الشيخ

صاحب الطريقة المثلى لادراك الثروة بذلك الخبر فأسرع اليّ قائلا : لا يمكنك ان تعيش من دخل ٥٠٠ فرنك سنوياً بل تعال معي لنذهب الى همبورج هنالك باتباع نصائحي تصير غنياً وانا اكفل لك ذلك . فشككتُ اولا بالامر ولكنه اخذ يسحرني بربح اللالايين حتى صرتُ انيرا اصغي اليه بطيبة خاطر فقال لي : « انك متوقد الذكاء ذو فطنة فيجب عليك ان تدرك كلامي » ثم اخذ يشرح لي طريقته وكنت ذا فطنة كما قال ففهمتُ ما اراده وذهبنا معاً الى همبورج واخذتُ ألعب مثبعاً نصائحه فخسرت خلال اسبوع واحد زهاء سبعة آلاف فرنك ونيف . فقال لي : انك خسرت بخطائك ومخالفتك مشورتي وما إخفاقك هذا الّا يزيدني تمسكاً بطريقتي

فهززت رأسي وتركت هذا النصوح الغافل . غير اني عدت فاطلقت من حدقي لان ما حصل قد فات وتعاهدت على الاقل بان لا انشغل باللعب في المستقبل . وبعد ما طلبت من ذلك الرفيق على غير جدوى بان يعود معي لانه كان صافي القلب رغم اوهامه رجعتُ الى باريس وحدي وهناك اخذت ابحث عما يوسعه ان يجعلني غنياً . وبما انه كان لم يزل في جيبي خمسة اوراق قيمة الواحدة الف فرنك وَوعدتُ ذاتي بان اكون متأنياً في بحثي اكثر من الماضي وقلت : لن اقبل ان اكون مدرساً باجرة ثلاثين فرنكاً ولن ارضى بان اكون ناسخاً ولن . ولن . . فيوماً ما سمعتُ احد الضباط يوصي مصوراً بان يعمل له رسمة قائلا : « اني أعدُّه لفتاة من بلادنا فاحذر من ان تكون هذه الصورة كثيرة الشبه بي لاني ارغب بان لا يعرفها اهلي » . فهذه القصة جعلت فيَّ الميل للتصوير كيف لا ونحن في عصر التصوير الشمسي . فصرت مصوراً واشتريت الادوات اللازمة واتخذت لي مأوى في احدى الشرفات فلم تسوء الامور في مبتدأها وكان لي الشرف بان اصوّر مجاناً كلَّ اصحابي تقريباً ولكن لسوء الحظ ان طموحي التي لم تُغنِني قليلا حتى ذلك الحين اخذت تضرّ بي مذ ذاك بدلاً من ان تنفعني . ذلك اني اردت ان انتفع من المعارف التي اكتسبتها في الكيميا فازيد بذلك تحسين فنّ التصوير وبما اني لم اكن غبياً اكتشفتُ طريقةً محسنة وناديتُ بها ولكن كان احد المصوّرين قد سبقني اليها ونال امتيازها قبلي فاقام عليَّ الدعوى باختلاس حقه وربح دعواه فتمتُ مذ ذاك التصوير وبعتُ ادواتي جميعها

وقد كنت في كل تلك المدة لم ازل على طريقة الرغد في معيشتي فكان يشق

عليَّ ترك بعض عوائد الرفاه فلم اكن لأرضي بها كلفني الامر بان البس ثوباً خلقاً او بان أعدم النار في غرفتي ايام القرّ . اما جيبي فكان لم يزل فيه بعد خسران الدعوى ونفقات العدالة زهاء ثلثة الاف فرنك وهو مبلغ زهيد غير كافٍ لتحقيق الاماني التي حلمتُ بها للوصول الى هناء العيش وخفضه فقال لي احد اصحابي يوماً : بيدك ثلاثة آلاف فرنكٍ وانت متقاعس عن العمل ! ألا تعلم بانه يمكنك بهذا ان تحصل بسهولة على مدخول ستة آلاف فرنك ! فقلت له : لربما يكون ذلك بتربية الارانب . فقال : لا بل باللعب بالبورصة — فقلت اذا كان الربح في البورصة سهلاً بهذا المقدار فلماذا لا يُقبل جميع الناس على المضاربة فيها ؟ — فقال : لأنّ قوماً من البلهاء يخافون . ثم قال : نعم يا صديقي ان بعضهم يؤكد ان في البورصة الخراب وما هذا وحقّك سوى الشاعات تروّجها نحن المضاربين لتنفير المزاحمين ولكيلا تفسد الصنعة بالكثرة . واخذ يشرح لي بأية عمليةٍ يمكنني ان العب واربح دائماً واعاد على مسامعي مراراً بانه ليس عليَّ بان أجازف بشيءٍ من مالي حتى اقتنعتُ اخيراً بصحة ما قال وصرتُ من دُعاة البورصة اخطر مختالاً في قاعة المضاربة بين قوم لهم من الاستقامة ما يُعرف عنهم !

فاسعدني الحظ مدة ثلاثة اشهر كنت اربح فيها كل يوم من خمسة عشر الى عشرين فرنكاً حتى سنحت الفرصة يوماً لتحقيق ارباح اوفر فدعاني صديقي ملحاً الى اغتنامها لان التصاعد في الاسعار كان موكداً . فلعبتُ آملاً بذلك وما عتم ان حار هبوط هائل فخسرتُ مائة ليرة فاثرت بي هذه الضربة ولم يبق معي سوى الف فرنك فاخذت أعمل الفكرة من جديد في عملٍ ما — وكان ان استلفت نظري اعلانٌ على ورقٍ احمر كُتبت عليه هذه الكلمات : « يُطلب بعض مستخدمين يشترط فيهم حسن الهيئة والهندام » فقدمت ذاتي للمحل المعيَّن وكانت هيئتي مرضيةً فأفهموني ما يجب عمله بان اخدم احدى المكاتب بترويج بَيع الكتب . فبالني الامر اولاً غير ان بعضهم آكد لي بان هذه المهنة تسرّ صاحبها وتكسبه المال الجزيل . فتأبطتُ يوماً إضبارة من الكتب وذهبت الى واحدٍ اعرضها للبيع فأوصد الباب بوجهي — ثمّ تهدّدني الثاني بالشكوى والسجن بسبب ازعاجه . اما الثالث فبعد ما تمكنتُ من الدخول اليه صرفني حالاً حتى انه سألني عند الانصراف اذا لم اكن سرقتُ من

غرفته شيئاً فلم اتالك عند ذلك من صدمه صفعة لم ابقَ بعدها طويلاً في تلك المهنة واستولى عليَّ في ذلك الحين الغم وصرتُ افتكر كيف اني بعد ما تلقيت دروسي ونجحت فيها وما انا اكثر بلاهة من غيري لم اتمكن من ان احصل على مقام ولو صغير في هذا المجتمع الممقوت وكيف اني مضطر كرجل تلك الرواية الذي بعد ان حاز جائزة الشرف في دروسه اضطرَّ لكسب معاشه ان يكون نجاراً . وكنت اجلس عادة واستسلم لهذه الافكار المرّة في احدى الحانات التي صرت من زبائنها لاني كنت فيها (يسامحني الله) اتاشّ بلعب الكرة بالبيلاردو ! فيا لمهانة رجل حائز على الشهادات في تلك المهنة ! وكنت قد اوثقتُ عرى الصداقة مع شيخ عالم كان يجلس في زاوية هناك ولكنه في حال لم تمكنه منذ عشر سنوات ان يلبس برجليه زوج احذية على شكل واحد . فشكوت اليه شقائي فلامني اولاً على كبريائي وقال لي : انه كان قبلي صاحب شهادة علمية ووُجد في حال سيئة مثلي لانه بعد ما اتم دروسه بنجاح وجد ذاته بدون معين في هذه الحياة وبدون اسباب معيشة فعزم بعد إعمال الفكرة على ان يكون من عداد جنود الاستقلال في العالم فذهب محارباً في الهند لتحرير مملكة لاهور وحارب بعد هذا في حرب استقلال اليونان وقال لي مباهياً : ان هذه اليد التي تضع انت فيها يدك اليوم قد صافحت يد اللورد بيرون ! . وبعدما عاد لفرنسة كافأته الحكومة لما كان من عضدها لمسألة اليونان بان عيّنته مدرساً في احدى القاطعات فأتعبه تلاميذه جداً فعرض على احد اصحابه وكان بواباً في باريس في احد المعاهد العمومية ان يبادل مركزه فقبل هذا وصار البواب في قاعة التدريس والمعلم في غرفة البواب . فلم ترضَ الحكومة بهذه القصة الغريبة وصرفت من خدمتها الاثنين معاً . ومنذ ذلك الحادث عاش هذا الشيخ العالم صارفاً وقته بالقراءة والاستفادة عقلاً كل يوم على قدر الامكان تلك المسألة الهائلة التي يسمّون نتيجتها الحصول على الخبز اليومي .

فشغف قلبي بما صوّره لي من مناظر الهند فعزمتُ على ان ارى بلداناً جديدة واجول في العالم واذ لم يكن في ذلك الحين حروب استقلال للتجنُّد فيها سافرتُ الى كاليفورنية حيث هنالك كما يقولون يمكن الانسان ان يصير بمدة وجيزة صاحب ملايين فأنفقتُ آخر ما بوسعي للتمكن من السفر فوصلتُ الى هنالك وكدتُ يوم

وصولي ان اموت جوعاً ولكن بما ان النساء قليلة في تلك البلاد السعيدة كان لي الحظ بان اجد عملاً في تربية ولد صغير ويمكنك ان تُدرك كيف قدّرتُ هذه المهنة الجديدة. غير اني تجالدتُ كما يجب واحتملت ما فيها من المكدّرات فأعجبَت العائلة بخدمتي وتمكّنت من ربح المال الكافي للعودة الى فرنسا بدون تباطؤ اذ وجدت ذاتي سعيدًا بان اعود الى بلاد اكون فيها بمصاف الرجال

عدت الى باريس وبينما انا ذات ليلة في احد المسارح أساء احد الممثلين في دوره حتى سئمه الحضور فقال شخص كان بجانبي: يجب لرفع منار هذا الفنّ والسموّ به عن الانحطاط ان لا يحجم الشبان الدارسون عن اتباعه والظهور على مسارح التمثيل. فراق لي كلامه واعتقدت بصحته وخلت ذاتي مدعوًا لاحياء فنّ التمثيل ولم اعثر ان صرت ممثلاً. وبعد تمرين وجيز بدأت في العمل اولاً في ضواحي المدينة ونجحتُ هناك نجاحا باهرًا خصوصاً بتمثيل المأساة. وبينما كنّا يوماً نمثل احدى الروايات خالفتُ زميلاً لي في احد المشاهد وارتأيت غير رأيه لكنّ الجمهور صفّق له فأغضبني ذلك ولم أتمالك من القول ان الحضور مُغفلون. واشتدّ الخلاف بيننا الى ان قضت امرأة المدير بطردي لأنها كانت تميل الى زميلي

وقد كنّا مثّلنا في تلك الاثناء رواية بايزيد وأجدتُ في دوري حتى قال لي احد اصحابي: حقًّا لم أرَ مثلك في الهيئة التركية. فتذكرتُ هذه الكلمات لمّا نشبت حرب القرم وقصدت السفارة العثمانية للتقيد بخدمة الدولة فقابلوني بعد ما عددت القابي وفتحت شهاداتي بالحفاوة والسرور وذهبت الى تركيا حيث لم البث ان تمكّنتُ ضابطاً في الجندية بفضل القابي العلمية ومن المؤكد ان المستقبل الآن يبسم لي عن حظّ اكبر

فتصفّح بامعان يا عزيزي وتأمل بما كابدتُ من الشقاء في ممارسة المهن العديدة رغم شهاداتي. فكم من الذين كانوا بيدهم الشهادات مثلي وطرقوا الابواب التي طرقتُها ولكن لم يتسنّ لهم ان يصلحوا امورهم بان يصيروا اتراكاً. فتمعّن مليّاً واحترز فان لك العلوم ولكن ليس لك الثروة الطائلة وهذا من اصعب المراكز التي تزول اليها حال الانسان وخصوصاً الشاب مثلك. فاذا اتيح لك يوماً ودخلت في سلكٍ ما فلا تتركهُ ابدًا واذا شغلتَ مركزًا فحافظ عليه ولو حُتم عليك بان تظلّ عشر سنوات في ترتيب الاعداد مثلي. ولا تستسلم الى الامال ولا تركن الى الرجاء. فانا

المستقبل اذا لم تكن مالكاً ناصيته هو الشقاء بذاته . انك لو كنت من المثال لما خشيتُ عليك من البؤس لان المجتمع الذي تعيش به يرأف بشديد السواعد اكثر من رجيح العقل وصاحب الصحافة والحجى . انك عالم وذكي وهذا ما يجعلني ان اخاف عليك الحياة لأن ما انت متصف به ليس من الضروريات الاولى للمعيشة وقد كثر اليوم مَن هم كذلك . فأمعن النظر بهذا وأعمل الروية . وفي الختام استودعك الله

* * *

## آثار للشاعر الغزيري الخوري حنّا رَعد في مدح فرنسة

تذكار خصيبي — لما كانت السنة ١٨٧١ بعد حرب فرنسة والمانية ظنّ البعض انَّ اللبنانيين اذ رأوا الدولة المدافعة عنهم قد غلبها الالمان تراخوا بحبها وعدلوا عنها . فزار حينئذٍ لبنان القنصل الفرنساوي روستان فكان له استقبال فخيم في كلّ الجهات واراد اهل لبنان بمظاهراتهم الجليلة ان يبرهنوا عن ثبات حبهم نحو فرنسة في السرَّاء والضرَّاء . ومن جملة ما انشده وقتئذٍ شعراء لبنان القصيدة الآتية للشاعر المُجيد الخوري حنّا رعد الغزيري ل . ش

### حُبُّ لبنان لدولة فرنسا الفخيمة

حُبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركانِ ... لفرنسَ قامَ على ذرى لُبنانِ
وغدا أصيلاً في جوارحنا ... تزداد جِدَّتهُ بكلِ أوانِ
ولقد تمازجَ بالدِّما في جسمنا ... كتمازجِ الأرواحِ بالأبدانِ
حبٌ شرتهُ فرنسُ من لُبناننا ... بدمِ الفوارسِ ارفع الأثمانِ
أفما تصفحت التواريخ التي ... تُنبيكَ عن حربٍ على الصُّلبانِ
اذ حاولَ الاعداءُ رفعَ هلالهم ... فوقَ الصليبِ علامةِ الإيمانِ
فهناكَ تنظرُ أنَّ اولَ زاحفٍ ... لخلاصِ سوريا بنو شرلمانِ
اضحت فرنسا ام كلِّ حميّةٍ ... مذكورةٍ في غرَّةِ الأزمانِ
فتألبت فرسانُها وتقلّدت ... بمهنّدٍ ومثقّفٍ وسنانِ
منهم فريقٌ قد جرت فُلكٌ بهم ... وطوى الفدافدَ والصحارى الثاني
بلغَ الجميعُ الى اراضينا التي ... كانت باهلِ الجورِ في غليانِ
لمّا رأى آلُ الفرنسيس الأولى ... نالوا السباقَ بحلبةِ ورهانِ

الخصم يعثو مفسدًا في ارضنا ... حملوا عليهِ حملةَ الشجعانِ
فتسابقت ابطالهم وتعاورت ... ايدي الكماةِ عواليَ المرانِ
وتجاذبوا وتناجزوا مع مُسلمٍ ... وتطاعنوا بمثقفٍ ويمانِ
كم سيدٍ بطلٍ همامٍ يخلتهُ ... أسد الشرى في الحربِ والميدانِ
مازال ينخرُ في الصدور وفي الطلى ... ويُذيق اهل البغي كل طعانِ
حتى تشتت شملهم متمزقًا ... وغدا الهلالُ بذلةٍ وهوانِ
كم من دماءٍ قد أُريقت في الوغى ... حبًا بلبنانٍ وبالقطانِ
ما لي أُجدّدُ غابرًا مع أنهُ ... في عالمٍ شينٌ وشرحُ بيانِ
إذ رامَ ملك الترك في لبناننا ... اعدام دين الحق والسكانِ
طارت فرنسُ لنصرنا دون الورى ... ولطرد ذؤبانٍ عن الحملانِ
ملأت بواخرها البحار وارضنا ... مُلئت باجنادٍ لها فرسانِ
لولا فرنسا ما نجونا من ظبى ... سيف العدو السافلِ الخوّانِ
منها لنا أصلُ الحيوة وقد غدا ... منّا لها الشكرُ بكل لسانِ
فاذا نسيناها فرنسا ساعةً ... فلتنسنا يدنا بل اليدانِ
كيف التناسي وفينا كلُّ بديعةٍ ... جادت بها من غامرِ الاحسانِ
ظنَّ الخبيثُ بمكرهِ ألبابنا ... قد غيّرتها طوارقُ الحدثانِ
إذ من تجرّعِ وجيها بكوارثٍ ... بتنا بليلٍ حالك الالوانِ
كسدت تجارتنا وأحبط سعيُنا ... وظللنا في خوفٍ وفي رجفانِ
لكننا راجونَ عودًا احمدًا ... لفرنسَ مع عزٍّ ورفعة شانِ
ماذا الرجاء وقد رأينا نهوضها ... من عثرةٍ وبدت بمجدٍ ثانِ
وثبت عزامتها ولمّت شعثها ... وتفاضلت في طاعةِ الرحمانِ
إنّ العدى ظنّوا بأنّ نهوضها ... إذ ذاك ممتنعٌ من الإمكانِ
فالله أيدها وأعلاها على ... رغم الاعادي بعيهم والداني
إذ من فرنسَ الكونُ يرجو قوتهُ ... فلها بكلِّ المكرماتِ يدانِ
او ما رأينا انها مع خطبها ... بعثت اساطيلًا الى لبنانِ
نسيت كوارثها ولم تنسَ الأولى ... كانوا على وجلٍ من العدوانِ

حتى لانهم انها مع بؤسها … دوماً تقومُ بحق كلِّ ضمانِ
فليبقكِ المولى فرنسُ لدينا … ولحفظ لبنانٍ من البرحانِ
لك الدُّعا منّاً على طول المدى … تحيينَ تحيينَ الى الازمان

## وللشاعر المومى ابه اثرآخر

وهو ثناؤه على فرنسة اذ وافت لنجاة النصارى

بعد حوادث السنة ١٨٦٠

كُفَّ البكا وامسح عيوناً تدمعُ … واحفظ بقيَّة مهجةٍ تتصدّع
صبرا ولا تهلك اسى وتفجّعا … فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا مُشرقُ امرك مُذهِلٌ او مُعضِلٌ … والقلبُ حيرانٌ لذاك وموجعُ
قد كنتَ كابدتَ المصائب جملة … حتى دهتك مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذي الجماجم والدما … ما للمنازل وهي قفرٌ بلقعُ
سوداء يبتزّ بالقلوب سوادُها … فكأنّ ناركها الغرابُ الاسفعُ
ان كان ضاق بك الفضاء لنكبةٍ … لا تيأسنَّ فَفَضلُ ربك اوسعُ
قد يرقعُ الظلامُ وجهك بالشقا … لا كاد ان ينجاب هذا البرقعُ
قُرِعت جوانبُ عرش ربك دعوةً … صعدتْ لديه من حشى يتقطَّعُ
وذبائح بالجور فيك تقدّمت … قُبلت ومنزلها المحلّ الارفعُ
ولَشُمُّ عَرفُ المحرقات لانها … بازاء مَقدسه الوقُر تشفعُ
لمّا غدا مجدُ اسمه في بيته … عاراً فثار وقال: يكفي المصرعُ
حتّام تفترس الذئابُ رعيتي … فقطيعيَ المختار أوشك يُقطعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافراً … بطلاً تخرُّ له الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسا الصوتُ: يا … نابوليونُ . أجابنا: لا تجزعوا
اني لَمُنجدكم وكاشف حزنكم … يرضى الالهِ فمن سواه يُجمعُ
يا شِبلُ ليثٍ في فرنسا رابضاً … وزئيرهُ في كل قطرٍ يسمعُ
يا عاهل الدنيا الذي يشكى له … صرفُ الزمان وان نهاه فيردعُ

طال البلا والشرُّ صار باعظما … مَن ذا يُطيق النيرَ او من يخلعُ
جاد الغضنفرُ للعباد بنظرة … فارتدَّ قلبُ الجور منها يهلعُ
وثنى ودار كأنما بجيش جحفل … فرأى العدوُّ فحار فيما يصنعُ
بجزائرٍ اتت الثغورُ وزمجرت … منها الرعودُ بها العداةُ تخشّعوا
وكواسرٍ لا الهولُ في ارهابها … هولٌ ولا الموتُ الشريع يروّعُ
فاذا سطت لا النار ترهبها ولا … تحمي الجيوشُ ولا الدافع تدفعُ
منها الزوافُ ولم تكن يوما سوى ال … موتِ الزؤاف وكلّ عاتٍ موقعُ
بمقدامها الشهمُ المجرَّب بالوغى … بوفورِ رهبة الجيوش وتخضعُ
فالرأي ماضٍ في ذكاه وقاطعٌ … والسيف امضى في يديه واقطعُ
تلك البحور على البرور طمت ولا … سدٌّ يصدُّ ولا حجاب يمنعُ
ليس الملا الّا المراكبُ والمدا … فعُ والقواضب والقنا والادرعُ
ثمّ السوابقُ والسرادق والبنا … دق والصواعق والمنيّة تتبعُ
فتذكّرت ارضُ الشآم وقائعا … كان الصليبُ لواءها لو ترجعُ
والناس ما بين المخافة والرجا … كلٌّ لِما هو اهلهُ يتوقّعُ
طلع الصليبُ فسُرَّ كلّ عابدٍ … ولنصره عينُ الأعادي تدمعُ
بسمت ثغورُ بلادنا لأحبّةٍ … هجروا فجلّ بنا المصاب الافجعُ
سعدًا ليوم بُشّرت اعلامهُ … انّ الحيوة من المنيّة اسرعُ
يومٌ تضاعف بالحديد ضياؤه … فيه الاسنّة كالاشعّة تلمعُ
يوم بدا وعيوننا بنهاره … بتطلّعٍ وبليلهِ لا تهجعُ
لله دركِ يا فرنسا مركزًا … للدين والدنيا اليك المرجعُ
فُقتِ الممالك مثلما لملوككِ … قد فاق عاهلك الاعزّ الامنعُ
اولاكِ لم يشرق نبأ سلامةٍ … فينا ولا زال الشقا المتقطّعُ
يا منّة عظمت كعظمة ربّنا … هطلت فأمسكت الدما والادمعُ
عاشت بها الارواح بعد جفائها … ولنا أريجُ الشكر منها يسطعُ
بسنائها جيدُ البلاد مطوّقٌ … وبذكرها قلبُ العباد مرصّعُ
لبيك يا ملكَ الزمان فاننا … لك بالفداء قلوبنا والاذرعُ

كيف السبيل لنشر شكرك في الورى ... وهو الذي لم يخلُ منهُ موضعُ
شكرًا لجود يديك شكر ذبيحة ... فديتها فغدت بحمدك تسجعُ
لمّا احاط بنا العداة كتائبًا ... فؤادها مثل الثعالب تخدعُ
والذئب راعٍ والحمامُ قضيةٌ ... والجور قاضٍ والولائد تكرعُ
كلّمتهم بلسانهم فضربتهم ... بالسيف ان السيف قولٌ مقنعُ
اعلنتَ للآفاق انك نوّرتنا ... وثباتُ شملك ذمّة وتبرّعُ
لو لم تُبعث حاشا لتدرك والوفا ... لأنت بقيتنا الظلك تبرعُ
ابن الزمام لمن يُرام زمامهم ... والبغي ام والمفاسد مرضعُ
قومٌ مدى حطوا الجهاد كسلة ... رضعوا مع اللبن الدما وتجرّعوا
لك في المشارق حسنةٌ محمودةٌ ... ما ضر لو كانت كذلك الاربعُ
منصوبة نُصبت لكلّ رزيئة ... فالحكم يُقلع والاجانب تُردعُ
عَذب العذابُ لدى المحبة والهوى ... سيان فينا ما يضرّ وينفعُ
فلتعلم الدنيا بانَّ طباعنا ... طبعُ الفرنساوي وذاك تطبّعُ
روحٌ سرى في روحنا قدمًا ولو ... نزع المدى ارواحنا لا يُنزعُ
تغذي به اطفالنا في مهدها ... وبه تشبُّ بهم اذا ما اينعوا
واذا الم بنا القنوط بليلة ... نشدو بذكرك في الغناء فنشجعُ
اولى الملا بالملك من في عدله ... وسخائه لذت الاهالي ترتعُ
ملكٌ أمات الجور في املاكه ... ويدون بحق اصوله لا يقنعُ
ملك تليقُ له البسيطة كلّها ... وتودُّه لكنه لا يطمعُ
ملك له قسمُ العالى مربع ... ولبيته ملك الاعادي يرتعُ
ملك عزيز لا يُقاس بعزّه ... كسرى وقيصر والعزيز وتبّعُ
ملك تراتبه الملوك لانه ... هو شمسها وهي الكواكب تتبعُ
ملك سما وسما الملك باسمه ... فغدا به مَن سواه يتبعُ
ملك طوى تذكار كل مقدّم ... الا سميَّ باسمه يتشفّعُ
نابوليون فيا النصارى استبشروا ... نابوليون فيا تقاة تورّعوا
لا زال ركنًا للصليب وآله ... تتزعزع الدنيا ولا يتزعزعُ

# جمعية الامم

بقلم الاديب اميل افندي ثيان احد طلبة ·كتب الحقوق الفرنساوي

خرجت الدول المخالفة من الحرب العالمية ظافرة قاهرة ولكنها لم تظفر بهذه الغاية الّا بعد سفك الدماء انهرًا وبذل أُلوف الملايين من المال فلم تكن كل هذه الضحايا لتقنع تلك الدول بأن تكتفي بنتيجة ظفرها دون ان ترمي نظرها الى المستقبل حسبًا لاسباب حروب قد تكون لا شك اشدّ هولًا من الحرب الماضية - فارادت ان تفوز بواسطة تنجو بها من هذه الخطوب

اجتمع رؤساء السياسة في باريس فرأوا ان لا سبيل الى اجتناب الحروب في المستقبل الّا بانشاء جمعية يدعونها بجمعية الامم فوضعوا لها دستورًا سمّوه «عقد جمعية الأمم» جعلوه مستهلًا لمعاهدة الصلح المعقودة في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩ · فما هي تلك الجمعية وكيف تشكيلها وما هي صلاحيتها وكيفية تطبيق قراراتها وما تاريخها وما مستقبلها ؟· تلك اسئلة نسعى بالجواب عنها بالاختصار

## اوّلًا ماهيّة جمعية الامم وكيفية تشكيلها

جمعية الأمم هي اتفاق معقود مبدئيًا بين جميع دول الارض له غرضان: الاول اجتناب كل اسباب الحروب والثاني توثيق التآلف والتعاون بين الأمم

ولنوال هاتين الغايتين قد سطّرت عصبة الأمم لنفسها الوسائط الآتية: تخفيض التسليحات وحلّ المشاكل الدولية بالوسائط السلمية واعطاء الوكالات على البلاد غير القادرة على ان تحكم نفسها بنفسها وتجمّل كل المعاهدات الدولية علنيّة واخيرًا استعمال الوسائط اللازمة لتطبيق قوانين العصبة وتنفيذ قراراتها

قلنا ان عصبة الأمم مؤلّفة مبدئيًا من جميع دول الارض. واما هي الآن مؤلّفة فقط من الدول المختلفة اي فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة وايطالية واليابان وبلجيكا الخ . اما الشعوب التي بقيت متحايدة طول امد الحرب الأخيرة مثل سويسرة واسبانية فهي كلها مدعوّة في الحال الى الدخول في هذه الجمعية وقد اجابت هذه

الدعوة الأمّة السويسريّة فانها بعد تصويت الشعب الموافق اصبحت نهائيًا عضوًا عاملًا في العصبة وذلك منذ منتصف ايار سنة ١٩٢٠

ولكن ماهو موقف الدول المعادية اي النمسة والمانية وبلغارية وتركية والبلاد الروسية تجاه عصبة الأمم ؟ اما البلاد الروسية فليس فيها حكومة شرعية معترف بها من الدول فلا عجب اذا رُفض قبولها . اما الدول الباقية فان المادّة الاولى من العقد تنصّ انّه «لا يحق لها الدخول في العصبة ولن يحقّ لها ذلك الّا اذا اعطت ضمانات حسّية عن حسن نيتها في القيام بكل ما تعهدت به وقبلت ان تراعي دستور العصبة فيما يختص بقوّاتها وتجهيزاتها الحربيّة في البرّ والبحر والهواء وايضًا على شرط موافقة ثلثي اعضاء جمية الأمم في قبول تلك الدول »

وقد استغرب فريق عدم قبول الدول المركزية وحلفائها في عصبة الأمم فقال بعضهم ان جمية الأمم من اساسها ان تكون مؤلفة من كل الشعوب والّا فانّها تكون غير كاملة ولن تصيب الهدف الذي ترمي اليه وهو صيانة السلام في العالم اجمع وبالعكس فانها تبدو كمحالفة لشعوب ضد شعوب . ولكن الجواب على ذلك سهل وهو ان غرض عصبة الأمم تحقيق وضمان حالة السلام ونشر مبادئ الحرية والعدالة والمحافظة على المعاهدات الدولية فكيف يجوز قبول دول برهنت باعمالها الهمجيّة انها تسعى دائمًا في تشويش ذلك السلام غير مكترثة بحفظ عهودها ومعاهداتها؟ وقد قال احد الكتبة فرانكليس (Frangulis) « ان فكرة الاتحاد والعيش بالالفة تستدعي وجود اعضاء متجانسين مدركين ولا يمكن القبول بينهم باعضاء لا تحدثهم النفس الّا بالانقضاض والافتراس » (١)

ولا جرم ان في ابعاد الدول المذكورة يُحدّد ميدان عمل العصبة وذلك افضل من ان تكون تلك الدول عرقلة في طريقها بل مانعًا لأعمالها لأنه كما سنرى لا يُنفّذ قرار من قرارات العصبة الّا باتفاق الاراء فيكفي والحالة هذه من معاكستها فتوقف كل مساعي العصبة الحسنة

لكن الاشدّ غرابةً من هذا هو ان الولايات المتحدة لم تشترك في جمية الأمم . تلك الدولة التي بفضل رئيسها قد ظهرت عصبة الأمم الى عالم الوجود ابت بشأن

---

(١) مجلة الحقوق الدولية سنة ١٩٠٦

مجالس شيوخها ان تدخل فيها ونفوذ اعداء العصبة في الولايات المتحدة وهم الجمهوريون آخذٌ بالازدياد الامر الذي يدلُّ على ان دخولها لا يتمّ بالمستقبل القريب

ومن جهة اخرى يوجد امر يستلفت النظر وهو عدم دخول الفاتيكان . وبالحري البابوية في العصبة . وبالحقيقة يظهر ان ذلك قد قصده مؤسسو العصبة قصداً صريحاً لأنهم أبَوْا الاّ ان يستعملوا في عقد جمعية الأمم كلمة « دولة » . وبموجب قواعد الحقوق الدولية لا يُطلق اسم دولة الاّ على سلطة حاكمة على بلادها ومعلوم ان منذ سنة ١٨٧٠ قد نُزعت من البابوية كل سلطة زمنية وبذلك استحال دخولها في الجمعية لانها ليست بدولة . فلو كانوا استعملوا كلمة « سلطة » لكان الضدّ بالضد لانه ما من احد ينكر ان الكرسي الرسولي هو سلطة معنوية عظيمة الشأن . هذا من الجهة الشرعية . ونكتفي بالقول من جهة اخرى ان مؤسسي العصبة باهمالهم البابوية تلك السلطة التي قرَّ لها اعداؤها واصدقاؤها انها اكبر سلطة معنوية في العالم ذات النفوذ الفعال على اكثر من ٢٥٠ مليوناً من سكان العالم المتمدن قد حرموا جمعية الأمم من انجع الوسائط لتحقيق امانيها

وقد شاع خبرٌ مآله ان الكرسي الرسولي التمس من عصبة الأمم قبوله فيها وانها ردَّت طلبه ردّاً باتّاً لكنَّ هذا الخبر كان اشاعة محضة عارية عن كل صحة وقد كذبهُ كاتم اسرار البابوية الكردينال كاسباري تكذيباً رسمياً صريحاً . وقد شاع خبر اخر بهذا الشأن وهو ان المندوب الانكليزي في عصبة الأمم طلب اليها من تلقاء نفسه قبول الفاتيكان ولكن لم يتجاوز هذا الخبر حدّ الاشاعة . امّا عدد المندوبين فلكل دولة مندوبٌ واحد في عصبة الامم استعمارِيَّةً كانت ام لا ما عدا انكلترة فان لها صوتاً كسائر الاعضاء . ثم ان لكل واحدة من مستعمراتها كالهند وكندا واوستراليا وزيلاندة الجديدة وافريقية الجنوبية صوتاً آخر . والحجة في ذلك ان تلك البلاد ليست مستعمرات في حصر المعنى لان لها من الاستقلال وشكل الهيئة الحاكمة فيها المنفصلة عن نفس البلاد الانكليزية ما يكفي ان يجعل نفوذ السياسة الانكليزية المحضة بعيداً عنها ويجعلها اهلاً ان تضاهي الدول المستقلة القائمة بذاتها . تلك حجج على ما يقال اتخذتها انكلترة حتى تضمن سيادتها ونفوذ كلمتها في جمعية الأمم . فاذا افترضنا أنه اشكلت مسئلة وتضاربت فيها الاراء فبديهيٌ ان الارجح انحياز

مندوب اوستراليا ام كندا الى انكلترة فيقوى بذلك نفوذها وترجح كلمتها .

هذا هو تشكيل جمعية الأمم حاليًا فيكون بدد اعضائها الاصليين مع الدول التي بقيت متحايدة في الحرب والمدعوة للاشتراك خمسة واربعين وفي المستقبل سيكمل العدد بقبول المانية والنمسة وبلغارية وتركية وكل الدول الجديدة ويبلغ الستين · فتمتدّ حينئذٍ سلطة عصبة الأمم على جميع انحاء المعمور

اما تركيب العصبة الداخلي فهو على الصورة الآتية · تنقسم العصبة الى ثلاثة اقسام :

١) الجمعية العمومية
٢) المجلس التنفيذي
٣) كتابة الاسرار

( فالجمعية العمومية ) مؤلفة من مندوبي الشعوب المشتركة في العصبة · ولكل شعب ثلاثة مندوبين وصوت واحد · اما صلاحيتها فهي غير محدودة والنص المتعلق بهذا الخصوص مطلق يفتح مجالًا للتأويل وقد اتفقوا على ان لها الحق ان تنصب هيئة تحكيمية لتبتّ المنازعات التي تقوم بين امّتين ولتنتخب اعضاء المجلس التنفيذي غير الدول الخمس الكبرى ولها ان تدعو ايّ وقت ارادت اعضاء العصبة حتى ينظروا في المعاهدات التي اصبح تنفيذها خطرًا على السلام العامّ وان توافق باكثرية الاراء على كل تنقيح منوي ادخاله في عقد عصبة الأمم ولها ان تفسر بنود المعاهدات الدولية الوعرة الفهم وتنظّ الحقوق الدولية الغير الواضحة تمامًا الخ

اما ( المجلس التنفيذي ) فقوامه الاساسي الدول العظمى الخمس وهي فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة وايطالية واليابان وقد سموها الخمس الكبيرة ( Grands Cinq ) واربعة شعوب اخرى تنتخبهم الجمعية العمومية في الاوقات التي تراها مناسبة وهي الآن بلجيكا والبرازيل واسبانية واليونان ولكل من هذه التسع دول مندوب واحد وصوت واحد ولكن عند ما توضع على بساط البحث مسئلة تهمّ دولةً ليس لها ممثل حاليًا في المجلس فلها ان توفد خصيصًا لهذه الغاية مندوبًا يدافع عن حقوقها في تلك المسئلة لا غير

المجلس التنفيذي هو العضو الأهم بل محور جمعية الأمم ولا يوجد في العقد بند صريح يحدّد صلاحيتهُ كما هي الحالة للجمعية العمومية وانما نرى من مطالعة كل العقد ان من وظائفه انتخاب كاتم الاسرار العام والمصادقة على تعيين كتمة الاسرار الباقين وتعيين محل اقامة الجمعية وتهيئة كيفية ومقدار تخفيض التسليحات وله ان ينصب هيئة تحكيمية تفض خلافاً وقع بين دولتين. وتدل هاتان الوظيفتان الأخيرتان صريحاً على اهمية المجلس لانهُ لا وصول الى غاية عصبة الأمم الا بواسطتها

وقد بدأ المجلس باشغاله وهو يوالي اجتماعاته في رومة وفي باريس وفي لوندرة وقد اتخذ بعض القرارات مثل عقد مؤتمر دولي في بروكسل للبحث في المسائل الاقتصادية والمالية وقد عيّن لجنة خصوصية لتقدم له تقريراً بخصوص التجهيزات الحربية وهو آخذ بالسعي في ان يُرجع الى اوطانهم الاسرى الالمان والنمسويين الذين لم يزالوا معتقلين في سيبرية وقد طلبت عصبة الامم بواسطته الى الولايات المتحدة ان تقبل الوصاية على ارمينية الخ

وقرارات المجلس مثل قرارات الجمعية العمومية تُتخذ باتفاق الآراء فاذا نقص صوت واحد فسد القرار. ذلك ما عدا القرارات التي تختص بالمعاملات فان رضى الاكثرية فقط يجعلها قابلة التنفيذ

قلنا ان جمعية الامم لها عضو ثالث وهو (كتامة الاسرار) فهي مثل المجلس قد ظهرت الى عالم الوجود ورئيسها الحالي هو انكليزي اسمهُ دروموند (Eric Drummond) يمكن تغييرهُ وتعيين غيره بموجب قرار من المجلس وتصديق من الجمعية العمومية. وليست كتامة الاسرار عضواً عاملاً وانما أُنشئت لتكون الصلة بين الدول من جهة والجمعية العمومية والمجلس من جهة اخرى. ويحق للرجال وللنساء على حد سواء ان يكونوا من اعضاء جمعية الأمم

## ثانياً صلاحيّة جمعيّة الامم

صلاحية جمعية الامم تنحصر في خمس نقط وهي :

١) تنقيص الجهاز الحربي لكل الدول. ٢) حل المشاكل الدولية بصورة سلمية. ٣) استعمال الوسائط اللازمة لتنفيذ القرارات وحفظ دستور العصبة.

٤) اعطاء الوكالات على كل البقاع التي خرجت من تحت سيادة المانيا وحلفائها
٥) جعل المعاهدات علنية

## ١ تنقيص التسليحات

من البديهي انه كلما قلّت التجهيزات الحربية عند امة خفّت عندها فكرة محاربة غيرها . ومن البديهي ايضاً انه غير ممكن ان يطلب من امة ان تقلل من تسليحاتها اذا بقيت جاراتها بجهاز اهمّ من جهازها يجعلها ان تتمكّن من شن الغارة عليها متى ارادت . هذان امران نظر اليهما مندوبو مؤتمر الصلح من جهة واعتبروا من جهة اخرى انه لا بد من وجود قوة ما تحت امر السلطة الحاكمة في البلاد لتقدر ان تحفظ السلام الداخلي كما انه لا بد من ذلك للقيام بواجباتها الدولية اذا ما مسّت الحاجة

فبناء على ذلك ان المجلس التنفيذي مكلف ليهيّئ كيفية هذا التنقيص لكل دولة على حدة آخذاً بنظر الاعتبار موقعها الجغرافي واحوالها الخصوصية فان الدولة المحاطة من كل جهة بدول اخرى تطمح الى الاستيلاء على بلادها يمكنها ان تجهز جيوشاً أوفر من جيوش غيرها . فان فرنسة مثلاً ، وهي قائمة على حدود المدنية ، كما قال الرئيس ويلسن مهدّدة اكثر من غيرها فيجب ان يكون جهازها الحربي اهمّ من دولة اخرى مثل ايطالية او الولايات المتحدة

وبعد ان يهيّئ المجلس كيفية ومقدار هذا التنقيص يطرحه على الدول المشتركة في العصبة لتصادق عليه وبعد المصادقة يُفرَض نهائياً على كلّ دولة ان تلزم الحدود الموضوعة ولا تتجاوزها الّا برضى المجلس وهذا الرضى لا يتمّ الّا باتفاق الآراء بلا استثناء وهذا شيء صعب المنال نادر الحصول . ويجب في كل عشر سنين النظر مجدّداً في قرار المجلس هذا واذا اقتضى الامر في تنقيحه

اما الآن هل يتسنّى لجمعية الأمم ان تصل الى هذا المرمى وهو تنقيص تسليحات كل الأمم ؟ . هل يوجد عقبات وموانع تحول دون هذه الرغبة هل يوجد دولة تأبى ان تنقص جهازها الحربي الى الحدّ الذي قرّ عليه قرار العصبة فتجبر حينئذ الدول المجاورة لها ان تحافظ على ما لديها من السلاح والجنود خشية منها وهلم جراً ؟

وعلى مَ يستند المجلس في وضع قراره وهل يمكن ان لا يوجد دولة مغبونة

وذلك على عدم معرفة من طرفها ومن ثمَّ الا يجوز وقوع حادث ما قبل مضي العشر سنين يقلب الميزانية فتصبح دولة متفوقة على اخرى مع انها لم تتعدَّ الحد الموضوع. لنفترض مثلاً ان المانية اتفقت مع سويسرة ان تتخلى تلك للاولى عن قسم من اراضيها ذي اهمية من الوجهة العسكرية فاصبحت هكذا فرنسة مهدَّدة من نقطة كانت تظنها غير معرَّضة للهجوم. ولو افترضنا ان تحديد التسليحات كان معتدلاً لا حظَّ فيه لدولة اكثر من اخرى أذلك يحفظ الموازنة التامة ويمنع كل تفوّق دولة على اخرى سيما وان اخفاء العدات الحربية وستر تهيئة قطع من الجيوش امر ليس بالمستحيل. وهل للعصبة ان تعلم ما توصلت اليه امة من اختراعات ابقتها مخفية عليها الى ان تستعملها بغتة فتضمن لها النجاح في عجلتها؟

واننا نرى الان الأمم نفسها المشتركة في عصبة لا تبالي بتحديد التسليحات فانَّ بعضها قررت ان تزيد عدد جيوشها عمَّا كان قبل الحرب. وحكومة الولايات المتحدة تطالب بسن قانون الخدمة العسكرية الاجبارية وتفاخر بأنهُ بعد بضع سنين سيكون لديها اسطول يضاهي اعظم اسطول في العالم. وكذلك بلجيكا زادت عدد وعدة جيشها. أيدلُّ هذا على حسن نية في تطبيق مبدإ العصبة. بينما يفكر المجلس في مسئلة تنقيص التسليحات وقد شكل في جلسته الاخيرة لجنة قوامها اختصاصيون من ضباط جيوش البحر والبر والهواء لدرس هذه النقطة

## ٢ حل المشاكل الدولية بصورة سلمية

هذه هي النقطة الجوهرية الاساسية في كل جمعية الامم. يقول الحكماء انهُ طالما يعيش الآدميون على هذه الارض وطالما الانسان على فطرتهِ المعلومة لا بدَّ من تنافر بين المصالح ومنازعات وكذلك يكون بين الامم وليست هي الا مجموع افراد. فيجيب ارباب السياسة ان الايام تقلبت والاحوال تطوَّرت فاصبح الفرد مجبوراً على ان يلتجئ الى المحكمة ويطلب حقهُ منها لا من السيف فلماذا لا يكون الامر كذلك عند الامم ألم تصل الامم الى حد كافٍ من المدنية ليحقَّ لها ان تتخلَّص من هذه الطريقة الهمجية وهي الحرب

ومن ثمَّ قد وضع عهد عصبة الأمم في هذا الصدد القواعد الآتية : اذا وقع

بين امم مشتركة في العصبة خلاف ما لا يجوز لها أبدًا حلّه بالسلاح بل انه يجب ان ترفعه الى هيئة تحكيمية تختارها حسبما شاءت اذا كان هذا الخلاف قابلا حلًا شرعيًا فهذه الواسطة هي التحكيم. واذا كان هذا الحل غير ممكن اي اذا استحال فضّه استنادًا الى القوانين الدولية والمعاهدات السابقة فانه يُلتجأ الى الوساطة . والهيئة المتوسطة تكون اما المجلس التنفيذي نفسه اما الجمعية العمومية. قد نووا بخصوص التحكيم ان ينشئوا محكمة عدلية دولية دائمة وقد شُكلت لجنة لدرس هذه المسألة

واذا نظرنا الآن في مفعول هاتين الواسطتين لمنع شبوب الحرب فلا بدّ من تقديم بعض الملحوظات. فلنفترض انه قد رُفع من طرف المانية وفرنسة لدى المجلس خلاف بينهما ولم يتوفّق المجلس لوضع قرار اتفقت عليه كل الآراء. فبما ان قرارات عصبة الأمم ليست معتبرة اذا لم تتّفق عليها الاراء فيكون الخلاف هذا بين فرنسة والمانية اصبح غير قابل حلًا ما سوى الحرب. ولنفترض انه لم يرضَ الفريقان بحكم المحكمة وانهما ليسا في جمعية الامم او ان فريق طلب ان يرفع الخلاف لدى هيئة تحكيمية والفريق الثاني ابى ذلك فبما ان الحرب تنشب في كل هذه الاحوال ولا جرم ان هذه الاحوال ليست بالنادرة. وخلاصة القول ان كل هذه الوسائط ليس لها مفعول بنفسها وانه اذا عزمت دولة على محاربة اخرى فلديها وسائط شتى — وليس المعاهدة نفسه يوفّر لها كثيرًا منها — توصلها الى غايتها بدون ان تستوجب معاقبة من طرف الدول الأخرى

## ٣ الوسائط لتنفيذ قرارات جمعية الامم وحفظ دستورها وقوانينها

تلك الوسائط تظهر الى حيز العمل اذا عبثت دولة من الدول المشتركة في الجمعية باحدى تعهداتها وهي المنوه عنها في البنود ١٢و١٣و١٥ من عقد الجمعية فمثال ذلك ان امة شنّت الغارة على غيرها بدون ان ترفع الخلاف الى هيئة تحكيمية ام بدون ان تلتجئ الى الوساطة او اذا حاربت خصمها قبل مضي ثلاثة اشهر على قرار المحكّمين او المتوسطين الخ فبهذه الاحوال تعدّ الدولة هذه كأنها فعلت فعلًا عدائيًا ليس فقط نحو خصمها بل نحو جميع الأمم الأخرى اعضاء العصبة فتقطع جميعها

حالاً مع تلك الأمة المعتدية كل علاقاتها التجارية والمالية وتمنع كل علاقة بين رعاياها ورعايا الدولة الخائنة وبعد ذلك تشهر عليها الحرب وتتعهد بأن تسهل بكل ما بوسعها الحركات الاقتصادية والعسكرية مثل السماح بمرور الجنود المتوجهة ضد العدو العمومي وبكلمة اوضح تتعهد كل الأمم بمحاربة كل امة لا تحترم تعهداتها

قلنا «تتعهد الأمم» ولكن ما الذي يرغمها على المحافظة على تعهدها اذا وجدت في الحياد صلاحاً ؟ ما هي الواسطة الناجعة اذا ابت دولة ان تشترك بهذه الحرب مثلاً اذا هاجمت المانية فرنسة فما الذي يجبر الدول الأخرى على مساعدة فرنسة لاسيَّما اذا كان لهذه الدول مصالح شخصية تمنعها عن معاداة المانية ؟

وقد رأينا مؤخراً عدم فاعلية هذا التعهد فأن العجم وهي من اعضاء العصبة قد استغاثت بالعصبة عندما هجمت عليها الجنود البولشفية فما كانت النتيجة ؟ التأمت جمعية الأمم وتوالت الاجتماعات لتجد منفذاً تتنصل به من تعهدها وبانتظار النتيجة ذهبت دولة العجم فريسة البولشفية

## ٤ اعطاء الوكالات على كل البلاد التي انفصلت عن الدول المركزية وحليفاتها

تلك البلاد وهي مستعمرات المانية في افريقية الشرقية وافريقية الجنوبية والكامرون والتوغو وكل البلاد التي انفصلت عن المملكة العثمانية وهي سورية والعراق وارمينية

وأسُّ فكرة الوكالات هذه هو ان تلك البلاد لها الحق مبدئياً بالاستقلال ولكنها لم تزل قاصرة فشبَّهوها بالأفراد فكما ان الافراد قبل رشدهم يعيَّن لهم وصاة فكذلك تلك البلاد بما انها لم تصل بعد الى حد من الرقي والمدنية يسمح لها ان تحكم نفسها بنفسها فأن عصبة الأمم قررت انها هي مكلَّفة بتدبير شؤون تلك البلاد لغاية بلوغها الرشد . ولكن بما انهُ لا يتسنَّى لجميع الدول القيام بهذا العمل بالتعاون سويَّةً فانها ( اي عصبة الأمم ) تقيم وكيلاً عنها يكون وصيًّا على كل بقعة من هذه البقاع الدولة التي تجدها موافقة من حيث رقيها ومداخيلها وموقعها الجغرافي وهي مكلفة بالقيام بامور البلاد القاصرة واعطائها الارشاد اللازم لتقدر

ان تصل الى الغاية المومى اليها وهو الرشد التام حيث يجب على الوصي حينئذ ان ينسحب ويترك البلاد حرة كما يترك حراً الشاب البالغ الواحدة والعشرين من عمره. وفي مدة الوصاية لا يكون الوصي مطلق اليدين يفعل ما يشاء ويحكم كيفما اراد بل ان عليه ان يقدم سنوياً الى الموكل اي عصبة الأمم تقريراً مبيناً فيه اعمال وحركاته

ولا تكون الوكالة متشابهة في كل البلاد المذكورة بل ان شروطها تختلف مع درجة الرقي التي موجود فيها القاصر اي البلاد المار ذكرها . فان الوكالة لا ريب تكون اوسع واشدّ في الكامرون وافريقية الجنوبية واخفّ والطف في سورية وارمينية حتى ان عقد عصبة الأمم نفسه في بحثه عن تركية يطلب ان تؤخذ بنظر الاعتبار تمنيات تلك الشعوب في سورية والعراق وارمينية فيما يختص بتعيين وصاة عليهم

والآن لننظر في حقيقة هذه الوصايات وما هي حقيقة فكرة تأسيسها وما الفرق بينه وبين الفتوحات والاستعمارات السابقة

ليت شعري ما الفرق بين السلطة الانكليزية القائمة في المستعمرات الالمانية القديمة والسلطة الموجودة في المستعمرات الانكليزية الاخرى ؟ ما الذي يفرق بين البلاد المستولى عليها بعد انكسار الثانية والبلاد المستولى عليها قبلاً ؟ . لماذا يعتبرون الاولى مستقلة مبدئياً والثانية مستعمرات محضة ؟ بل ما الذي يضمن لاهالي تلك البلاد « القاصرة » انها ستكون حرة يوماً ما ؟ من الذي يضع حداً لهذا العقد وما هي العلامات الدالة على ان تلك الشعوب اصبحت راشدة وصارت أهلاً لان تحكم نفسها بنفسها ؟ أهي السلطة الوصية اي المستعمرة ؟ فاذ كان الامر كذلك لا امل لاستقلالها . أهي جمعية الأمم ؟ ولكنه لا يوجد نص يخولها هذه الصلاحية واذا افترضنا ان لها هذه الصلاحية فمن الذي يجبر الدولة المستعمرة على اخلاء البلاد وبأي وسائط ؟

والحق يقال ان بعض الأمم « المتمدنة » لم يزل يخالجها حب الفتوح والاستعمار أما رأينا مثلاً انكلترة اتخذت تلك الكلمات مثل « وصاية » و « قصر » و « حماية » وشباهها كحجاب تستر به هذه العواطف اذ رأت كل الشعوب الراقية والدانية تائقة الى الحرية والاستقلال . ولعمري ان طبيعة الانسان لم تتغير من الوف السنين فان الرومانيين الاقدمين كانوا عندما يفتحون بلدة ويفقدونها استقلالها وحريتها يلقبونها

مرة» او «طيقة» . فعسى ان لا تكون الالفاظ الجديدة كسترة لبعض المطامع

## ثالثاً لمحة تاريخية في جمعية الامم

بمقتضى المادة ١٨ من عقد جمعية الأمم يجب على كل معاهدة او اتفاق دولي يعقد في المستقبل ان يسجل حالاً في كتامة اسرار العصبة وهذه يجب عليها ان تذيعه في اقرب وقت ممكن في جريدة عصبة الأمم الرسمية التي ستنشأ عن قريب ولا تصبح المعاهدة او الاتفاق اجبارياً لكلّ من الفريقين الّا اذا سُجلا . وهم يؤملون بهذه الواسطة اجتناب الاتفاقات السرية التي طالما سببت الحروب والتي لم يكن لها المفعول السيء الّا لانها بقيت مخفيّة

### ٦ لمحة تاريخية في جمعية الامم

جمعية الأمم ليست كما تخال لاوّل وهلة شيء مبتكر جديد ابتدعهُ الرئيس ويلسن ولم يخطر ببال احد من قبله بل انها وجدت من زمن مديد وابوّتها ليست راجعة الى رجل اميركي كما سترى

ان فكرة جمعية الأمم قد تطوّرت فكانوا في طورها الاول — وذلك في عهد الرومانيين — يعنون بها حياة الامم متحدةً في راحة وسلام تحت سيادة أمّة واحدة . وهكذا نهتها الثانية فانها كانت تؤمل جمع كل الشعوب تحت سيطرتها . هذه هي جمعية الامم حسب الفكرة القديمة امّا الآن فانهم يعنون بجمعية الامم الاتفاق بين جميع الامم الحرّة لضمان حرية واستقلال كل واحدة منها وحفظها من كل تعدٍّ . فالفرق بين هاتين الفكرتين لا يخفى شاسعٌ اذ بينما نرى الاولى ترمي الى سيطرة أمّة واحدة على امم اخرى نرى الثانية ومبدأها الاساسي منعُ سيادة امّة على اخرى بل انها لم تظهر الى عالم الوجود الّا بعد تهيّج العواطف القومية الوطنية . فاننا في بحثنا هذا نترك الاولى وشأنها ولا ننظر الّا في جمعية الأمم مثلما نفهمها حاليًا فنقول : ما خرجت الانسانيّة من حروب دامية طويلة الّا بذلت جهدها في ايجاد طريقة في اجتناب الحروب المستقبلة كيلا تفجأها مرةً ثانية . فمن جملة تلك الوسائل كانت عصبة الأمم . واول بزوغ فكرتها كان في فرنسة . فان كاتباً افرنسياً اسمه امريك كروسي ( Emeric Cruci ) قد فكر سنة

١٥٢٣ ان يوطد حالة الصلح بالطريقة الاتية وهي ان يتألف مجلس مركب من سفراء كل الدول المستقلة مهمته ان يحلّ سلمياً كل المشاكل الدولية وشرط ان يحلف كل روساء الدول يميناً في ان يحترموا وينفذوا كل ما يقرره هذا المجلس باكثرية الارا وان يشهروا الحرب على كل امة لم تذعن لتلك القرارات

وقام بعد كروسي في خاتمة حروب الدين الشهيرة التي خضبت وجه اوربة بالدماء سولي (Sully) وزير ملك فرنسة هانريكس الرابع فنصح ملكه وجميع ملوك زمانه ان يؤلفوا عصبة من خمسة عشر ملكاً في درجة واحدة من القوة والسعة ينوب عن كل واحد منهم مبعوثان يؤلفون مجلساً له الصلاحية في ان يحكم وينقض كل خلاف يقع بينهم ويتعهد كل هؤلاء السلاطين بأن يحاربوا كل واحد منهم لا يتبع قرارات هذا المجلس

وفي ختام حرب الثلاثين سنة عام ١٧١٣ ادّعى الكاهن دي سان بيار انه يوجد وسائط « بسيطة فعّالة » على قوله لتوطيد السلام في اوربة فقال انّ على ملوك اوربة ان يعقدوا بينهم محالفة يضمنون بموجبها بعضهم بعض ضد كل اعتداء خارجي . اما المشاكل الدولية التي تقع بين هؤلاء الملوك فانهم يتعهدون في ان لا يحلّوها بالسلاح بل ان يطرحوها على جمعية عمومية مؤلفة من جميع تلك الحكومات سماها هذا الكاتب مجلس السلام فتفضّها مسألة امّا بصورة التحكيم واما بصورة الوساطة . اما تنفيذ قرارات هذه الجمعية فتكلف به جيش عمومي دولي . فيرى القارئ ان فكرة تشكيل جيش كهذا لم تطرق الا على ذهن هذا المؤلف

وفي سنة ١٨٧٩ اي بضعة اعوام بعد حرب استقلال الولايات المتحدة رأى الفيلسوف الانكليزي بنتام (Bentham) انه يجب لايجاد السلام تشكيل محكمة عالميّة مفوضة بالقضاء في كل الاختلافات الدولية ولكنه رأى ايضاً انه لم يكن ممكناً آنئذٍ ايجاد وسائط فعالة لتنفيذ ما تقرره هذه المحكمة

هذه هي اراء الاقدمين ولا بد للقارئ ان يلاحظ ان نقطها الاساسية النظرية لا تفرق كثيراً عن التي هي الآن ركن عصبة الامم الحالية مثل التحكيم والوساطة وتأليف جمعية من ممثلين لكل الدول وتنفيذ القرارات بالسلاح عند الضرورة

ولكن بقيت الحالة كما هي نظريات بدون تطبيق وبقيت الاماني اماني دون ان

يتحقق منها شيء بل توالت الحروب عديدةً شديدةً هائلة

واذا اقتربنا من زمننا الحاضر لم نحرم من رجال فكروا في عصبة الأمم لصيانة السلام فأن السياسي الافرنسي لاون بورجوا (Léon Bourgeois) قبل الحرب ببضع سنين وضع كتاباً سماه «عصبة الأمم» رسم فيه لهذه العصبة الخطط الآتية: ١ التحكيم الاجباري لكل مشكل قابل حلاً شرعياً. ٢ الوساطة في كل المشاكل الغير قابلة حلاً كهذا. ٣ المحافظة على النظامات الدولية وتنفيذ القرارات بفضل جيش مركب من جميع الدول للانشاء الجيوش والتجهيزات الحربية لكل الدول

وفي نفس مدة الحرب سبق رئيس الولايات المتحدة السابق مسيو تافت واسس جمعية سماها «الجمعية لتوطيد السلام» (League to enforce peace) احتوى برنامجها على كثير من النقط الاساسية التي وضعته بعدئذ عصبة الأمم. وهنا لا بدّ من تقديم هذا الملحوظ ان هذه الجمعية تأسست قبل ان يفوه الرئيس ويلسن بكلمة بخصوص عصبة الأمم لا بل انه سنة ١٩١٦ عند انعقاد جلسة الجمعية لتوطيد حالة السلام السنوي رضي ببرنامجها وصادق عليه بدون تحفظ ولم يجاهر ويلسن بافكاره الا في اواخر سنة ١٩١٦ في رسالته الى الشعب الروسي

ومن سنة ١٩١٥ توالت الاجتماعات والمداولات في اميركا وفرنسة وانكلترة ومحورها مسألة عصبة الأمم وما ستكون في المستقبل عند انعقاد الصلح

قلنا وبينّا ان فكرة عصبة الأمم ليست بجديدة ولكن هل ذلك يمس بشيء فضل الرئيس ويلسن؟ كل يعلم ان امر تشييد النظريات وبسط الافكار الواسعة هو امر سهل في اغلب الاحيان وتحقيق تلك النظريات خصوصاً في مسألة عملية كهذه نظراً للموانع والعثرات التي تقوم عند ما يقتضي تطبيق نجاحها فشرط النجاح في العمل اكثر من النجاح في النظر. فاذاً ان الرئيس ويلسن كان فضله عظيماً اذ انه اقدم بكل جرأة على تطبيق هذه الافكار فطبّقها وسعى في تذليل كل العوائق التي حالت دونها فذللها وذلك امر لا جدال فيه ان لولا رئيس الولايات المتحدة وهمّته لما كانت عصبة الأمم ظهرت الى حيز الوجود

والآن بما ان جمعية الأمم قد برزت الى الحياة فما ترى نصيبها منها وهل لها ان تطبق ما وضع من المبادئ السامية وما سيوضع من القرارات المتعددة؟

لا ريب في ان جمعية الأمم بمجرد وجودها لا تقدر ان تمنع الحروب والشرط الاساسي هو ان تكون روح المسالمة منبثة في الشعوب نفسها لأنه كما رأينا سابقاً مع وجود عصبة الأمم لا يصعب على امة عزمت على مهاجمة غيرها ان تفعل ذلك ولا يوجد واسطة فعالة حقيقة لمنعها . ويكفينا ان نذكر تأييداً لهذا القول مثال الحكومة في بلادها فانه مع وجودها وسهرها الدائم على الأمن ومع ما لديها من الوسائط التي ليس لعصبة الأمم مثلها بالنسبة فمع ذلك نرى الجرائم ترتكب والجنايات تقترف في كل انحاء تلك البلاد . وقد قال احد الكتبة الاختصاصيين في المسائل الدولية : « لا ندحة من وجود شعوب ضارية مفترسة كما انه لا بد من وجود افراد أثمة مجرمين . ولو توفر لدى عصبة الأمم كل الوسائط التي تنقصها الآن فلن يمكنها ان تزيل عن بعض الشعوب فطرتهم الهمجية الضارية » (١

والشرط الاساسي الثاني هو انه يجب على اعضاء الجمعية ذاتهم ان يستخدموا صلاحيتها بنية حسنة وان لا تتذكر امة من الأمم في ان تتخذها واسطة لبسط نفوذها والضرر بغيرها فلا تسعى انكلترة مثلاً لاستعمالها كآلة لمطامعها الاشعبية الخ قال القانوني لهفور (Le Fur) : - نجاح جمعية الأمم موقف على تركيبها ونظامها الاساسي اقل مما هو على الروح التي بها ستستعمل اعضاء العصبة هذا النظام » (Facere juste et justa)

وفي نفس عقد جمعية الأمم لا بد من ملاحظة كثير من النواقص فكل ما رأيناه سابقاً من عدم كفاءة فيما يختص بتحديد التسليحات وبالتحكيم والوساطة ووسائل تطبيق مبادئ الجمعية وتنفيذ قراراتها هو من الأمور التي تمنعنا عن الثقة التامة في مفعولها . وزد على ذلك ان الأمم نفسها المشتركة في العصبة ليست واثقة بها فان فرنسة من بعد امضاء العقد لم يهدأ لها بال الا بعقد اتفاق خاص مع انكلترة والولايات المتحدة تعهدت به الدولتان بعضد فرنسة فيما اذا هاجمتها المانية . فلو كانت فرنسة معتقدة واثقة ان عصبة الأمم ستمنع كل حرب في المستقبل ولو لم يخالجها ريب في الدول المشتركة في العصبة جماء بأنها لا تخف لناصرتها عند وقوع الاعتداء عليها لما احتاجت الى الاتفاق مع انكلترة واميركة فقط ! والعائق الكبير هو هذا المبدأ ان

(1 Revue de Droit Intern., Oppenheim

قرارات العصبة ليست قابلة التنفيذ ما لم تُتَّخذ باتفاق الاراء. فيكفي ان تقوم دولة واحدة بالمعاكسة فتتوقف القرارات ويتعذر تطبيقها . وامر المعاكسة في مسائل دولية تتضارب فيها المصالح امرٌ على ظنّي لا بد منه

ولكنا اذا كنا نرى في عقد جمعية الأمم نواقص كثيرة فأن المادة ٣٦ منه تخوّل الدول الحق في تنقيحه وتقويم نواقصه متى ارادت . ومن جهة اخرى اذا كان يستحيل تطبيق كل المبادئ حرفياً فيوجد امل كبير في انها ستجيء بالمفعول الحسن واذا الحروب لم تُمنع بتاتاً فانها ستحدَّد . فتنقيص الجهاز الحربي ولو كان غير كامل والخوف من هجوم كل الدول على الدولة الناقضة عهودها—وان كان غير اكيدٍ—لهما حاجزان كبيران لوقوع كثير من الحروب والمجازر البشرية . وخلاصة المقال ان جمعية الأمم لا تمنع قطعياً كل الحروب بل الأمل وطيد في انها ستُنقص عددها وكفى ذلك تحقيقاً لآمالنا!

---

# الصهيونيّة

## ماضيها حاضرها ومستقبلها

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

كثر القال والقيل في هذه الآونة الاخيرة عن الصهيونيّة حتّى كادت مسئلتها تُعتبر كاحدى المسائل الكونيّة التي لا بُدَّ من حلّها بالقريب العاجل . هي القضيّة التي تحوم حولها الصحافة وكتبةُ العالمَين هي الهيئة التي تشغل بال عالم السياسة فألفت اليها نظر جمعية الأمم ومجلسها الاعلى فما هي يا تُرى الصهيونيّة ؟ ما ماضيها . ما حاضرها . ما مستقبلها ثلثة اسئلة عرضها علينا احد القرّاء فحاولنا ان نجيب عليها بوجيز الكلام

### ١ الصهيونيّة وماضيها

الصهيونيّة نسبة الى صهيون احدى تلال اورشليم التي كان حصّنها اليبوسيّون

قبل الاسرائيليين فتحها داود الملك سنة ١٠٥١ ق م وجعل فيها مقامهُ بعد ان شيّد لهُ فيها بلاطاً عظيماً والمباني الفخيمة فعُرفت بمدينة داود . ثم اكّسوا في تمدينها فدلّوا بها على اورشليم كلها . والمراد اليوم بالصهيونيّة عصبة اليهود الساعين في انشاء مملكةٍ لذوي جلدتهم يدعونهم من حيث تفرّقوا تحت كلّ كوكب ليجدّدوا في حاضرة اورشليم بل في كلّ حدود فلسطين ما تمتّع بهِ اجدادهم قبل السيّد المسيح من الدولة المستقلّة والملك الخاصّ

وان سألت متى نشأ هذا الفكر في عقل اليهود . اجبنا انّ الصهيونيّة كما هي متألفة اليوم من جماعات اليهود حديثة الانشاء لكنّها قديمة ضمناً فانّ اليهود بعد ان فتح طيطس عاصمتهم سنة ٧٠ م ودمّر هيكلها وابنيتها وبدّد من نجا من اهلها من السيف والاستعباد لم يزالوا يوجّهون بنظرهم الى مدينة قدسهم مؤمّلين الرجوع اليها عاجلاً او آجلاً

وما لبثوا ان شمّروا عن ساعد الجدّ فجمعوا القوّات وجيّشوا الجيوش تحت قيادة مسيحهم « بَرْ كوكب » وفتحوا اورشليم وغيرها من المدن لكنّ القيصر ادريان ارسل العساكر لمحاربتهم فظفروا بالثائرين وقتلوا بَرْ كوكب وأُبعد اليهود عن اورشليم تحت طائلة الموت (١٣٥م)

وقام بعد ذلك في توالي الاعصار عدد عديد من المسحاء الكَذَبة يبلغ عددهم نحو السبعين فخدعوا اليهود واستفزّوهم حتّى اوقعوهم في تهالك جمّة وكانت نهايتهم جميعاً الإخذال والفشل

وبقي اليهود متفرّقين وقد نالوا من قياصرة الرومان بعد ادريان ثمّ من الاباطرة النصارى عدّة امتيازات خفّفت عنهم وطأة الذلّ دون ان يُسمح لهم بدعوة الغرباء عنهم الى ملّتهم . وانّما اذنوا لهم ان ينيبوا لهم في طبريّة رئيساً مليّاً يدعونهُ بطريركاً من نسل داود على ما يزعمون من ابناء الربّان هليل كان يدبّر امورهم ويجمع كلمتهم ويعيّن ربانيهم ورؤساءهم فيؤدّون لهُ الاعشار ثمّ توارث بنوهُ رئاستهُ الى سنة ٤٢٩ حيث مات آخرهم بلا عقب

على انّ ملوك الروم رأوا خطراً في نموّ اليهود واتّساع ثروتهم واجحافهم بحقوق العامّة بالمقامرات والربى الفاحش والمعاملات الجائرة كما فعلوا لما قدم كسرى انوشروان لمحاربة

سوريا وفلسطين فتشدّدوا عليهم وقيّدوهم بقوانين صارمة وربما ثار عليهم الاهلون انتقاماً من سوء تصرّفهم في املاك غيرهم وفقاً لتعاليم تلمودهم القائل في فصل بابا بترا وفي سفر حيكريم (ج ٣ ف ٢٥) « ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحقّ لليهودي ان يتملّكها » وان « الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات وحياة كلّ الشعوب ».

فتحت هذه المظالم في القرون الوسطى باباً واسعاً لمناهضة اليهود في كلّ انحاء المعمور في الشرق في الممالك الاسلاميّة وفي الغرب في الممالك النصرانيّة وقد بلغ بغض اليهود في قلوب الجميع مبلغاً كاد يستأصل شأفتهم لولا الكنيسة وارباها فانها دافعت عنهم في مجتمعاتها وانقذتهم مراراً من مصادرات وسيف اعدائهم . وكان الاحبار الرومانيّون في مقدّمة المحامين عنهم فافرزوا لهم في رومية العظمى حيّاً لا يُنتهك حماه. وقد اقرّ اليهود بفضل البابوات . قال الربي اسحاق صونيل احد مندوبي مجلس الأمّة في فرنسة في خطاب القاه في مجتمع رؤساء اليهود السنوي سنة ١٨٠٦:

« ان الاحبار الرومانيين استناداً الى مبادئ الادب المقدّسة قد حموا اليهود المضطهدين والمنفيين من بلاد اوربّة المختلفة وفتحوا لهم دوائرهم . وكثيراً ما قام ارباب الكنيسة الذين دافعوا عن حقوقهم في عدّة بلاد . والتاريخ يعلّمنا ان القديس غريغوريوس الكبير جعل اليهود تحت كنف حمايته في سائر العالم المسيحي في القرن السابع . وفي القرن العاشر حال اساقفة اسبانيا دون الشعب الذي كان قصده ذبح اليهود فشكرهم البابا اسكندر الثاني على مسعاهم . وفي القرن الحادي عشر يعود الفضل في حماية جماعات اليهود في كارمون وأوزس الى اساقفة تلك المهمّات . وفي القرن الثاني عشر منع القديس برنردوس الصليبيين من التعرّض لليهود والتعدّي عليهم . وهكذا فعل الحبران الاعظمان اينوشنسيوس الثاني واسكندر الثالث . وفي القرن الثالث عشر قام للدفاع عنهم البابا غريغوريوس التاسع بازاء دولتي انكلترة وفرنسة وانذر بالحرم من يغتصبهم على التنصّر . وقرّب البابا اقليميس الخامس لليهود وسائط التعلّم والتهذيب . وفتح لهم اقليميس السابع مدينة افينيون ليلتجئوا اليها من مضطهديهم في سائر اوربّة ».

على انّ الكنيسة مع ردّها الظلم عن اليهود كانت ايضاً تصون اولادها من اذاهم مادّياً وادبياً فوضعت لذلك قوانين مملوءة حكمة دوّنتها في دستور حقّها القانوني

وقد بقي اليهود في خمولهم وانحطاطهم الى زمن الثورة الفرنسويّة فنالوا من إعلانها بحقوق الانسان ان يعاملوا كبقيّة مواطنيهم بالاستحرار التام وجاهروا بسرورهم واخذوا من الحريّة والمساواة والاخاء « نصيباً وافياً

ولكن هيهات ان يرضى اسرائيل بالمساواة والاخاء وهو يعدّ الارض ملكاً له وبقيّة الامم "من زرع البهائم" (التلمود ف. بيسوث) حتّى انهم يعتبرون نجسة الآنية التي يأكل فيها الاجنبيّ . ومن ثمّ جعل اليهود في القرن التاسع عشر يطمحون بالنظر الى ما هو فوق ذلك اذ رأوا في امتزاجهم ببقيّة الناس ما يفقدهم وجدانهم لأنّ الموسوي يبقى موسوياً لا يستطيع الاختلاط بغيره . وهذا ما قرّرته مجامع الحاخامين السنويّة سنة ١٩١٠ في لندن حيث قالوا: « انّ الخطر العظيم على أمّتنا الزواج مع غير اليهود الذي يعرّضنا الى فقد جنسنا واصلنا »

فاعتزال اليهود عن بقيّة البشر وعنجهيّتهم الغريبة زادت نفور الناس عنهم حتّى أبت كثير من الكليّات والجمعيات ان توقيهم الى ما كانوا يؤمّلونه من الرئاسة والتدبير

فلمّا حبط املهم في التفوّق على سواهم بهذه الطريقة عمد الألوف منهم الى المهاجرة الى نواحي اميركة الشماليّة والجنوبيّة والى بريطانية العظمى وكانت كلتا الدولتين تبوّق وتزمّر باطلاق الحريّة التامّة لبني اسرائيل فدخلها العدد العديد منهم حتّى صاروا يزاحمون العناصر السكسونيّة والوطنيّة فأحسّت اميركة وانكلترة بالخطر وأوصدتا ابوابهما في وجه المهاجرين الاسرائيليين منذ عشر سنوات

لكنّ المهاجرة مع تخفيفها لنكبات اليهود لا تفضّ المشكل اليهوديّ وتعرّضه ايضاً للامتزاج بغيره من الامم وهذا كما قلنا لا يرضى به المتحمّسون من الموسويين . ومن ثمّ طلبوا لهم طريقة اخرى اجدر واحقّ برغائبهم

## ٢ الصهيونيّة في حاضرها

انسلاخ اليهود عن سائر الدول بانشاء مملكة خاصّة قائمة بذاتها هو الحلّ الذي وجده زعماؤهم لفكّ تلك المعضلة . ولكن ليت شعري اين تُقام تلك الدولة الجديدة ؟ كيف انشاؤها ؟ كيف تدبيرها ؟ كيف يحشد اليهود اليها من كلّ انحاء المعمور وقد اربى اليوم عددهم على ١٣ مليوناً من النفوس فايّ ارض كافية لتضمّهم ؟ تلك مشاكل اوقفت كثيرين من ذوي الخبرة الذين كدّوا ذهنهم وأسهروا عينهم في ازالتها

فلمّا كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر جعل رؤساء اليهود يشكّلون الشركات ويؤلّفون الجمعيّات للبحث في هذا الشأن. فانتسب البعض من اصحاب هذه الشركات الى صهيون واتّخذوا اسمها كشعار يذكّرهم بمجدهم القديم ويسوّل لذوي جلدتهم الالتفاف حوله

وكان فكرهم في اوّل الامر مقصورًا على وجود متّسع من الارض في العالم القديم او الحديث يستطيع بنو اسرائيل ان يجدوا فيه الوسائط لنهضة أمّتهم وتوثيق دون اختلاف مع سواها. فما صرفوا اليه نظرهم بعض البقاع الواسعة الارجاء في افريقية ولا سيّما اوغندا والكنغو وجنوبي مرّاكش والقيروان وفي آسية بلاد ما بين النهرين وفي اميركة بلاد المكسيك وفي اوقيانية بلاد اوستراليّة. امّا فلسطين فما كانوا ليؤمّلوا توطّنها طالما يحكم عليها الاتراك والّا اخذوا يحثّون من فيها من ذوي جنسهم الذين لم يكونوا اذ ذاك يتجاوزون العشرة الآلاف ويساعدون مدارسهم الاسرائيليّة

ثمّ تألّفت بعد ذلك جماعات الاتّحاد الاسرائيلي وشبيبة صهيون واحبّاء فلسطين والجمعيّة الفلسطينيّة العموميّة وجمعيّة الاستعمار الفلسطيني مع عدّة مصارف انشئت تلك الجمعيّات لخدمة مصالحهم وترويج اغراضهم. وهي وان لم تكن لتقصد في الظاهر التسلّط على فلسطين الّا انّها كانت تمهّد السبيل الى ذلك فانّها كانت تسعى في توفير عدد المهاجرين اليها من شمالي اوربة وهم اليهود المعروفون بالاشكنازيم ومن جنوبيها المدعوّون بالسّفرديم فبلغ عددهم بعد حين خمسين الفًا بنيّف وكلّهم اخلاط من صعاليك روسيّة والنمسة والمجر والمانية واسبانيا ومن يهود اليمن والعجم والكرج ومرّاكش فكانت تلك الجمعيّات تدعمهم بالمال لتشييد احيائهم في اورشليم والامكنة المجاورة ولابتياع الاملاك واقتناء العقارات في انحاء فلسطين

وظهر في تلك الحقبة احد انصار اليهود الدكتور تاودور هرتسل المولود في عاصمة المجر سنة ١٨٦٠ كان هذا رجلًا نشيطًا واسع المدارك تعاطى مدّةً حرفة الصحافة وتمثيل الروايات ثمّ خصّ نفسه بخدمة بني جلدته اليهود فألّف التآليف وخطب الخطب والقى المحاضرات وتجشّم الاسفار ودخل على دهاقين السياسة وارباب الدول يستعطفهم على أمّته وينفخ في قلوبهم عواطف الحنان والرحمة على بؤس اليهود

ويستنهض هممهم لمساعدتهم حتى اقنع كثيرين من ارباب سياسة انكلترة واميركا بان يحققوا آمالهم ويفرزوا لهم ارضاً تضمهم. فسرّ الدكتور هرتسل وسعى باخراج هذه النيات الى حيز الوجود في اي بلادٍ كانت ولم يوجه فكره خصوصاً الى فلسطين اذ كانت نيتهُ سياسيَّةً اكثر منها دينيَّة

ومما انتجتهُ همتهُ وتشتد من الحركة بين زعماء اليهود انهم اوسعوا نطاق جمعياتهم الصهيونيَّة وانشأوا مؤتمراً سنوياً يجتمع فيهِ مندوبو اليهود المتفرقين واركانهم للبحث في امورهم وكان اول مؤتمر عقد لذلك في مدينة بال في سويسرة سنة ١٨٩٧ ولم تزل مذ ذاك الحين تتوالى المؤتمرات في اوقاتها الى عامنا الاخير

وكان في مقدمة ابحاث تلك المؤتمرات تعيين مكان موافق لتحقيق اماني الصهيونيين واستقلالهم التام فمنهم من رضي بقارة افريقية ومنهم من طلب جهات العريش وواحات العرب. الا انَّ جمهور اليهود وعامتهم الذين رضعوا مع اللبن حب مدينة قدسهم أبوا الا فلسطين وقاعدتها اورشليم مركز اجدادهم. ولم تزل جاذبيتهم تعلو وتمتد حتى نفذ في قلوب كثير من المؤتمرين

ومات في تلك الاثناء تيودور هرتسل (١٩٠٤) وقام بعدهُ بعض زعماء اليهود منهم مكس نوردو وداود فولفسون وج. و. كان والدكتور جاكوبسون وغيرهم اقتفوا آثارهُ وفكروا في تحقيق اماني قومهم في فلسطين فاستنفدوا الوسع في توجيه جالية اليهود الى القدس ونواحيها فعمَّروا لهم الاتوال والاحياء حول المدينة حتى قارب عدد اليهود في ضواحي اورشليم مئة الف من النفوس

على ان السلطان عبد الحميد بعد ان تساهل مدة مع زعماء اليهود خاف ان يجعلوا فلسطين مستعمرة اسرائيليَّة فوضع لمهاجرتهم حدوداً ربَّما تجاوزوها بالرشوة وتأليف قلوب المأمورين العثمانيين. ثم وقع في تموز سنة ١٩٠٨ الانقلاب العثماني وكان لليهود فيه السهم المعلَّى سواءٌ كان بوسطة الاسرائيليين المنتمين الى الشيعة الماسونيَّة او بواسطة اليهود المرتدين الى الاسلام المعروفين بالدونمه او الدامين فأمَّلوا منهُ خيراً واستبشروا بالفوز القريب واتخذوا لهم علماً خاصاً واخذوا يسعون لدى اعضاء جمعيَّة الاتحاد والترقي وكان من جملتهم ثلاثة يهود كاراسو وكوهن وفرجي وعدة من الدامين بينهم جاويد بك والدكتور ناظم وطلعت بك وغيرهم

على انَّ هذه المساعي لم تأتِ وتثمر بالنتيجة المرغوبة لأنَّ قسماً من جميّة الاتحاد والترقي قامت وقعدت لماكسته حتّى انَّ احد زعمائها كاظم نامي بك صرَّح يوماً في احدى جرائد انكلترة انَّ نوايا الصهيونيين لا يستطاع تحقيقها طالما يكون الامر في ايدي الجمعيّة المذكورة . وكان كثير من اليهود انفسهم لا سيَّما اليهود السّفرديم يناصبون هذا الفكر لما وراء ذلك من الاخطار على امّتهم

تلك كانت وقفة اليهود الصهيونيين سنة ١٩١٤ اذ انتشبت الحرب العموميّة ونال اليهودَ شيءٌ من اضرارها وان غلب ما ربحوهُ منها اكثر ممّا خسروا كمألوف عادتهم في مثل هذه الكوارث

## ٣ مستقبل الصهيونية

كان لدخول الحلفاء في اورشليم سنة ١٩١٧ اي وقع في قلوب المسيحيين وذكروا فتوحها سنة ١٠٩٨ على عهد غودفريد دي بوليون والصليبيين وما كانوا ليظنّوا ان سيزاحمهم في الحكم عليها العنصر الصهيوني الذي اخذته لفتحها هزَّة طرب طار لها فرحاً لعلمه بمعاهدات سرّية بين « ملوك المال » من الاسرائيليين ورؤساء الدولة الانكليزيّة . وما لبث ان ظهر الخفيّ وذاع الامر المكتوم لا سيّما عندما كتب الوزير المستر بلفور الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ما تعريبهُ :

### أيها اللورد روتشيلد العزيز

يسرّني ان اوجه الى جنابك من قبل حكومة جلالة الملك جورج الاعلان الآتي الموافق لرغائب اليهود الصهيونيين والذي عُرض على الوزارة فصادقت عليهِ . انَّ حكومة جلالتهِ تنظر بنظر الرضى ان يُتّخذ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي وهي ستفرغ كلّ وسعها توطئةً لتحقيق هذا الامر وذلك دون ان يُلحق أذىً ما لبقيّة الطوائف التي في فلسطين من الحقوق المدنيّة او الدينيّة ولا أمسّ حقوق ومصالح اليهود نفسهم في سائر البلاد . هذا واني أكون لجنابكم ممنونًا ان يُلمّ هذا الاعلان لجمعيّة الاتحاد الصهيوني

صدر من وزارة الخارجيّة في ٢ ت ٢ ١٩١٧

فلا شكَّ ان هذا القرار اثّر في شتات يهود العالم كتأثير قرار كورش ملك فارس لمّا اصدر امرهُ الى زربابل ليعود الى اورشليم مع اليهود الذين كان جلاهم نبوكدنصر الى العراق قبل سبعين سنة . وهذه ثلاث سنوات هاج فيها الصهيونيّون

وماجوا ليخرجوا الى حيز الوجود امانيهم فانفتحت امامهم ابواب فلسطين فتراهم يتقاطرون اليها زرافات ووحداناً فيدخلونها كصاحب البيت الى بيته

فهذا ما هيّج عواطف المسلمين والنصارى فرفعوا صوتهم احتجاجاً على هذه المعاملات وقدّموا المعاريض الى عصبة الامم والى دول الحلفاء والى مقام الحبر الاعظم فرأت انكلترة ان تطيّبهم نوعاً في اوائل السنة الحاضرة بما بأنهم الجنرال بولز المدير العام لفلسطين من القرارات الآتية التي نشرتها الجرائد :

اولاً – صادق الحلفاء وفي مقدمتهم اميركة وفرنسة على منح شيء لليهود من الحقوق في فلسطين . ووافقوا ايضاً على ما فاه به المستر بلفور وهو ان تكون فلسطين وطناً قوميا لليهود بشرط ان لا تمسّ مصالح الوطنيين الدينيّة والمدنيّة والسياسية بشيء

ثانياً – ستجعل انكلترة المهاجرة الصهيونيّة ضمن حدود وشروط ومراقبة شديدة كي لا تضر هذه المهاجرة بحالة البلاد الاقتصادية

ثالثاً – ستحافظ الحكومة كلّ المحافظة على بقاع الفلّاحين فلا تدع الناس يبيعون املاكهم الّا اذا مسّت الحاجة الى ذلك.

رابعاً – ستدير البلادَ حكومةٌ قوميّة وصيّة تقيم ميزان العدل وتحافظ على حقوق الناس فلا يستبدّ القوي بالضعيف

خامساً – لا يقصد الحلفاء ولن يقصدوا ان تكون في البلاد حكومة يهوديّة . واما الذين يحكمون البلاد فهم ابناؤها وستقرّر الاحكام بموجب قوانين ينشئها المجلس الذي تنتخبهُ الأمة بالاكثريّة والحكومة آخذة الآن باعداد ما يكفل حقوق السكّان . وستدرّب الحكومة ابناء البلاد من اليوم على الحكم الذاتي وذلك بان يكون عدد كبير منهم في الوظائف السامية يشرفون على الاحكام تحت ادارة حكّام ذوي اخلاق راقية ونيّات صالحة

هذه التقارير خفّفت نوعاً اضطراب اهل فلسطين لكنّهم لم يروا حتّى الآن تطبيقها على احوالهم بل جاء الفعل مخالفاً للقول . كفى برهاناً على ذلك اقامة السير هربرت صموئيل مندوباً اعلى على فلسطين وهو اسرائيلي يدعوهُ اليهود علانيةً بامير اسرائيل - وهو اوّل حاكم يهوديّ على فلسطين منذ بركوكب زعيم ثورة اليهود في القرن الثاني للمسيح السابق ذكرهُ

فما تعيّن لتدبير سياسة فلسطين حتّى كان لتقليده اسوأ وقع ليس فقط بين سكّان فلسطين بل بين الانكليز مواطنيهِ من كاثوليك وبروتستانت وقدّم حاكم بيت لحم وحيفا وغيرهما من مأموري الانكليز استعفاءهم . واعلن قداسة الحبر الاعظم مع عدد لا يُحصى من الجمعيّات الكاثوليكيّة ومن اعيان الكاثوليك والبروتستانت

استياءهم من تسليم فلسطين الى الدّ اعداء الدين النصرانيّ وقد نشرت جريدة البشير مؤخّرًا خطاب الكردينال بورن في مؤتمر الكاثوليك الانكليز في ليڤربول في ٣٠ تموز المنصرم وفيهِ ما فيهِ من بيان خطر وضع فلسطين تحت رحمة اليهود

وقد اتت الانباء الاخيرة من اهل فلسطين تثبت انّ خوف النصارى والمسلمين من وضع اليهود يدهم على اورشليم وفلسطين ليس هو وهمًا لا طائل تحتهُ فانّ المراكب وقطارات السكّة الحديديّة غاصّة باليهود القادمين اليها حتّى يظنّ من يمشي في بعض شوارع المدينة المقدّسة انهُ في مدينة يهوديّة محضة . وقد صار معظم الاعمال التجاريّة بين ايديهم هناك كما انّهم اصبحوا يشغلون اكثر المراكز في دوائر الحكومة . وترى اللغة العبرانيّة منتشرة في كلّ انحاء اورشليم حتّى اصبحت احدى لغات الحكومة الرسميّة . وقد اتّخذوا لهم كعلم الكوكب ذا الستّة الاشعّة كما انّهم يتغنّون بنشيد وطنيّ خاص . ومع كون الحكومة منعت بيع الاملاك وشراءها تراهم يتوسّلون كلّ الوسائل ليشتروا الاملاك ولو بأغلى الاثمان

وان سألنا الآن السائل عن رأينا في مستقبل الصهيونيّة وهل يقوى الصهيونيّون فعلًا على اقامة دولة يهوديّة مستقلّة في فلسطين

جوابنا على هذا انّهُ لا تنكير ان الصهيونيين يحاولون انشاء موطن لليهود في فلسطين وليس موطنًا فقط بل دولة قائمة بذاتها مستقلّة بتدبير نفسها . لكنّ هناك من العقبات ما يحول دون تحقيق هذا الامل كما سترى من الملحوظات الآتية :

١ هيهات ان يتّفق كلّ اليهود المنبثين في انحاء المعمور على نيّة الصهيونيين . فانّ المثرين منهم والاعيان والربّانيين والحاخامين واليهود السّفرديم يرون في مناصبهم وامتيازاتهم في كثير من الدول ما يفضّلونهُ على كلّ مركز يمكنهم الحصول عليهِ في فلسطين

٢ لا بل يحصل لهم من ذلك اضرار جسيمة فانّهم اذا قامت لهم دولة مستقلّة وجب عليهم الانتماء اليها ومن ثمّ تعدّهم الدول الاوربيّة كاجانب فيخسرون جنسيّاتهم التي حصلوا عليها وناهيك بهِ من مضرّة بالغة

٣ ان دولةً كافية لتضمّ كلّ اليهود تحتاج الى املاك واسعة واراضٍ مخصبة تكفي لتقوت اهلها ومن المعلوم انّ اراضي فلسطين لا يمكنها ان تقوم بمعاش اهلها

اليوم فما قولك اذا اتاها بضعة ملايين من السكّان اكثرهم فقراء يعيشون من حسنات قومهم

٤ ثمّ انّ املاك فلسطين معظمها اليوم في حوزة المسلمين والنصارى اقيعرضى اصحابها بيعها وهي من تليد اموالهم الموروثة من اجدادهم . فاذا تخلّوا عنها قُضي عليهم بالمهاجرة وترك اوطانهم العزيزة

٥ وان افترضنا انّ اليهود يحصلون على قطع من الارض وارزاق كافية لمعاشهم لا بُدَّ لهم من فلاحتها وزراعتها والقيام بأحوالها . واليهوديّ كما لا يخفى يفضل التجارة على الفلاحة والارتزاق بالبيع والشراء على الكدّ بحراثة الارض والنشاط في استغلالها وتحسين تربتها . قال الماجور الانكليزي غولد سميث اليهودي يذكر المهاجرين الى فلسطين : «انهم في ادنى درجة من الرقي والنجاح » وقال تاودور رينانخ اليهودي الاثريّ الشهير من يهود اورشليم في تاريخ الاسرائيليين ( ص ٣٧٤ ) : « ان يهود اورشليم في عصرنا قد جمعوا بين الكسل والجهل المطبق والتعصب الذميم

٦ وان امكن اليهود ان ينفوا الوطنيين من فلسطين الّا انّ هناك امكنة مقدسة لا يتخلّى عنها النصارى والمسلمون مهما دُفع لهم من الاموال الطائلة فيبقى بينهم شاؤوا ام ابوا الرهبان والكهنة والكنائس والجوامع وهم يعدُّون كلّ ذلك رجساً في اعينهم وكشظاظ في حلوقهم فلا يمكن ان يخلو لهم الجوّ كما يحلمون

٧ وهَبْ أنّهم ينشئون لهم دولة فهذه الدولة على رايهم سياسيّة ودينيّة معاً فمن حيث انها سياسية كم ينبغي لهم من المساعي الجبّاريّة لعقد دوائرها فاين ملوكهم واين وزراؤهم واين جيوشهم وعُددهم واين ... واين .. فكم يحتاجون الى الوسائط ليقوموا بهمّتها وهم خلوٌ منها كما هو معلوم . ومن حيث هي دينيّة لا بدّ لهم من تجديد الشريعة الموسويّة فيقدّمون الضحايا المفروضة من موسى الكليم . والّا الضحايا لا يسوغ تقدمتها الّا في الهيكل فيحتاجون اذاً الى تجديد هيكل سليمان الذي في مكانه اليوم الجامع الاقصى . وهيهات ان يسمح المسلمون بتسليمه الى اليهود . ودون الهيكل لا يقوم قائم للدين اليهوديّ

٨ قلنا انّ اليهوديّ يرتزق غالباً بالتجارة دون الزراعة والصناعة فليت شعري ان أُفرِدت له دولة كيف يستطيع ان يرتزق بالتجارة وهو لا يجد في فلسطين ما به

قوام التجارة من الحصولات المتنوّعة والصادرات المهمّة . التي يمكنه بها ان يعامل بقيّة البلاد المتمدّنة . وزدْ اليهِ مزاحمةَ ابناء ملّتهِ التاجرين مثلهُ . ومن المعلوم انّ ثروة اليهود ينالونها من مواطنيهم المختلفين عن مذهبهم . قال احد كبار السياسيّين : « انّ اليهود اشبه بالنباتات المتطفّلة التي لا تستطيع ان تعيش وتنمو الّا ملتفّة حول غيرها من الاشجار فانْ حُصروا في قطر واحد عمدوا الى اكل بعضهم البعض »

٩ وسوف يزيد اعتزالهم عن بقيّة البشر باتّخاذهم العبرانيّة الحديثة كلسان دولي وهي لغة فقيرة قلّما يمكن ترقيتها وتطبيقها على الامور الحاليّة والتقدّم العصري مع ما يدخلها من اللهجات الغريبة والاستعارات المنقولة عن الروسيّة والالمانيّة والمجميّة . فيحرم بها اولادهم من كلّ نجاح ورقي ويبقون في ذلّهم وانحطاطهم القومي

هذه بعض الموانع التي سوف تقوم في وجه دولةٍ صهيونيّة مستقلّة ولا نظن انهم سيقوون على تذليلها مهما انفقوا من القناطير المقنطرة ومهما تمهّدت لهم الامور . ما لم يُقَل بقرب نهاية العالم ووشك وقوع اليوم الاخير

امّا مدّعاهم انّ لهم حقوقاً في ملك اورشليم وفلسطين وانّ الرئيس ويلسن وجميّة الامم وضعوا هذا المبدأ بان يُعطى كلّ قوم من الاستقلال ما ينطبق مع سالف تاريخهم وقتيات عنصرهم فانّهُ من المبادئ المتبسة التي لا يمكن تحقيقها الّا بإثارة كلّ الاهواء الباطلة والمطامع الاشعبيّة والفتن والحروب . ثمّ انّ فلسطين سكنها قبل اليهود شعوب أخرى لم ينقطع حتّى اليوم نسلهم من الفينيقيين والكنعانيين وغيرهم فضلاً عمّن جاء بعدهم واستوطنوها فصارت لهم موطناً بقوّة قانون الاستحلال فلا يجوز لغيرهم ان يدّعوا ملكها بعد القرون المتعدّدة

والافضل لليهود لو عقلوا ان يسعوا في تهذيب احداثهم وتربية ابنائهم على اصول التمدّن العصري مع المحافظة على سُننهم الدينيّة الموافقة لتعليم الاسفار المقدّسة ونبذ الخرافات التي شُحن بها تلمودهم ومشاهم وزُهُرُهم وغيرها من كتب الربّانيين ويعيشوا مع سواهم بالوفاق والحبّ المتبادل في فلسطين وغيرها فلعلّهم ينالون بذلك من الرقي ما يفضل على تمصيرهم اورشليم وفلسطين والرجوع الى ازمنة خلت واحوال ادبرت لن تعود وليس عَودها بالاحمد لهم والله المرشد الى الصواب

# حوادث عين ابل

## رواية شاهدة عيانية الاخت كلمنتين خياط

بلاد بشارة مقاطعة كبيرة يدعوها الفرنج بجليل العليا (Haute Galilée) واقعة في قضاء صور تمتدّ من شمالي شرقي عكّا الى نهر القاسمية جنوباً فشمالاً يحدُّها البحر غرباً وقضاء مرجعيون شرقاً . فيها السهل والوعر الحزون والبطون الاودية والجبال يبلغ عدد نفوسها نحو ٣٥٠٠٠ منهم مسلمون معظمهم من اهل الشيعة ومنهم نصارى اكثرهم موارنة ثمّ روم كاثوليك دون الاورثذكس يسكنون في نحو مائة قرية

ومن اهمّ قرى النصارى هناك قرية عين ابل الواقعة شرقي صور يبلغ عدد اهلها نحو ٢٠٠٠ اكثرهم موارنة وبينهم ايضاً روم كاثوليك وكلهم ذوو تقى وصلاح . ولراهبات قلبي يسوع ومريم في عين ابل دير أُنشئ منذ نحو خمسين سنة وكثيراً ما يتردَّد اليها المرسلون اليسوعيّون لاقامة الرياضات التقويّة وقد انشأوا فيها المدارس لأحداث الصبيان والفتيات فاصبحت بذلك بلدة عين ابل من ازهر قرى بلاد بشارة مادياً وادبياً حتّى حسدها على ازدهارها اهل الشيعة المقيمون في القرى المجاورة لها . ولمّا جرت الحوادث الآتي ذكرها كان موجوداً في دير عين ابل اربع راهبات رئيستهنّ الاخت الفاضلة كلمنتين خيّاط الحلبيّة الاصل وعنها نروي ما يلي

### سوابق حملة المتاولة على عين ابل

كانت عين ابل لموقعها قريباً من قرى المتاولة الشيعيين معرّضة لمساوئهم الا أنهم كانوا غالباً يكتفون بسرقة مواشي اهلها ونهب غلّاتهم واهانة من يلقونه منهم في طريقهم . وكان العينبليّون برعاية كهنتهم وعقلائهم يجتنبون كل سبب من شأنه ان يحرّك غيظهم لينجوا كلّهم من توسط الدولة التركيّة التي ترغب في هذه المشاجرات لتربح من الظالم والمظلوم معاً بالرشوة والبخاشيش . وبقيت الحال على

ذلك الى دخول الحلفاء سنة ١٩١٨ في بلاد الشام فتنفس النصارى وأملوا النجاة من نير عبودية جيرتهم الثقيل

فلما كان الشهر الثالث من تشرين الاول من العام الماضي بلغ الى عين ابل خبر قدوم القائد المغوار الجنرال غورو الى بيروت وما لقي فيها من الحفاوة والأكرام. فاجتمع اهل البلدة واتفقوا على ان يقاسموا نصارى بيروت ولبنان افراحهم ففي عصر النهار المعيّن لتظاهرتهم اجتمعوا في ساحة كبيرة قدام حارة مارون وطانيوس شباط فتوارد الناس اليها بكل بهجة ونصبوا العلم الفرنسوي وبازائه صورة الجنرال المطرّزة بيد الراهبات تحدق بها الزهور والحلي وتكتنفها الرايات الفرنسوية ثم اخذوا يتلون القصائد والتقاريظ ويتغنون بالاناشيد ويطلقون البنادق والاسهم النارية مرحّبين بقدوم الجنرال ومهنئين الدولة الفرنسوية على انتصارها. وانصرف الجميع بعد ساعات وقلوبهم طافحة بالفرح ثم انشأوا جمعية لنشر الحماية الفرنسوية. ولم يدروا ان تلك المظاهرات سوف تكون قريباً سبباً للعداوة الثائرة وتجلب الدمار على بلادهم

فما مرّ علينا بضعة ايام حتى صارت الاخبار المكدرة تتوارد علينا وتقلقنا. فانّ متاولة بلاد بشارة اتفقوا مع عشائر بدوان الحولة وعصابات المنطقة الشرقية واخذوا يهجمون على قرى النصارى فينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون. فاغاروا في تشرين الثاني على مرجعيون وصفد البطيخ وطرسحات ويارون وديردغاية وقانا الخ. وكانت نيتهم بعد هذه القرى الصغيرة ان يزحفوا الى اكبر منها ولا سيّما عين ابل ثم الرواهم وهم يقولون: «سنذبح اهل هذه القرى في سوق بنت جبيل كما تذبح الخراف»

فما بلغت هذه الاخبار مسامع اهل عين ابل حتى عوّلوا مع نصارى القرى المجاورة على اخذ الاحتياطات لنفوسهم. فأوفدوا قوماً منهم الى ارباب الحكومة في صور ينذرونهم بما يتهدد النصارى من الشرور فلم يجدوا اذناً صاغية وانما نسبوا خوفهم الى الاراجيف الباطلة واعطوهم اسلحة قليلة للدفاع عن قريتهم فلم يطمئن بالهم ورجعوا الى وطنهم واستعدّوا بما لديهم من النشاط والهمّة لمقابلة العدو فابتاعوا ما امكنهم من الذخائر الحربية واخذوا يمرّنون شبانهم على فنون الدفاع واستعمال الاسلحة فكانت الشبيبة تلبّي دعوة مدرّبيهم بكل غيرة وتسهر ليلاً مع نهار على حراسة البلد حتى في ليالي القرّ في فصل الشتاء.

رفع العلم الافرنسي فرموا صاحبهُ بالرصاص من الشباك ثم هجموا على البيت وقتلوا من وجدوهُ فيهِ ثم رشّوا عليهِ تنكة بترول واحرقوهُ بالنار فالتهب البيت وتصاعد لهيبهُ الى الفضاء حتى صار جمراً ورماداً

وفي اثناء ذلك اتى الى ديرنا نحو ثلثين رجلاً من الاهلين بسلاحهم وصعدوا الى طابقهِ الاعلى وجعلوا يضربون من نوافذهِ المتاولة والتجأ ايضاً الى ديرنا قوم كثير من نساء وصبيان لينجوا من المذابح التي باشرها المتاولة في انحاء البلدة . فأدخلناهم المعبد وحرضناهم على الصلاة الى قلب يسوع الاقدس ليردّ عنّا هذه البلايا . وكان بين الجمع كاهنان الخوري انطانيوس من دبل والخوري انطانيوس من عين ابل فصعد الواحد الى الحامية وبقي الثاني بين الجمع في المعبد . وكان الجمع المذكور يصلّون ويضربون صدورهم ملتمسين رحمة الله ومنهم من يلطم وجههُ وينتف شعر رأسهِ بتلب محروق على ما اصابهم . وكنّا نجتهد ان نقوّيهم ونخمد لظى صدورهم ونحرّضهم على التوبة والاستعداد للموت كشهداء الايمان . وكانت اصوات الصغار وعويلهم ممّا يفتّت الاكباد فنلاطفهم ونقدم لهم الطعام

ثم صارت طلقات الرصاص تقترب من الدير فالتفتنا الى الكاهن وطلبنا منهُ ان يعطينا الحلّة من خطايانا . فتلا الجميع فعل الندامة فارتفعت جلبة القوم وتصاعدت الزفرات وعمّ البكاء كافّة الحضور وكنّا نفتكر اننا بعد دقائق قليلة نُقتل او نُحرق فيكون نصيبنا كنصيب القتلى في جهات البلد

وفي تلك الساعة سمعنا طرقات متواصلة على ابواب الدير فحسبناه العدوّ قد اقبل قلنا ثمّ تناوبت الطرقات واذا بالطارقين يصرخون : افتحوا نحن اهل البلد . فلمّا فتحنا الدير تواثب اليهِ عدد كبير من الجرحى هذا الرصاص في جسمهِ وذاك مقطوع اليدين والآخر مضرّج بالدم فغصّت بهم ساحة الدير والمدارس والطابق الاعلى . وابتدأ كلٌّ منهم يقصّ علينا قصّتهُ المفجعة مما اقشعرّت لهُ الابدان . فاسرعنا واحضرنا الماء والسبيرتو والشرائط من ثياب غسيل ذلك النهار فصرنا نسحب الرصاص ونضمّد الجراحات بين اصوات العويل وصراخ النساء والاولاد وترحّمهم على من قُتلوا و جُرحوا وهربوا هائمين في وجوههم

ولمّا غابت الشمس ارسلت الحامية فاخبرونا انّ الذخائر نفدت عندهم ولم يبق لهم

ما يضربون به العدوّ وانّ الأَوْلى بهم ان ينسحبوا مع الجرحى قبل ان يدركهم الاشقياء. فخرجوا ونحن ندعو لهم بالنجاة وتبعهم الجمع النازل عندنا وسار كلّ منهم الى ناحية وكذلك سارت معهم احدى راهباتنا الاخت بربارة وهي من عين ابل لتخدم المارّين. فبقينا ثلاث راهبات الرئيسة والاختان ـ لستين طيّاح من غزير و اقستازي ماريني من بغداد مع بعض النساء العجز بينهم الشمّاس انطانيوس الحبشيّ الضرير. فطلبنا مشورته: « ما قولك انذهب نحن ايضاً او نبقى؟ ». فاجاب قائلاً: « ان خرجتنّ فتاوكنَّ على الطريق لا محالة فالاجدر ان تبقين هنا ولا تهملن هؤلاء العجز وعلى الله الاتكال ». فأثّر هذا الكلام فينا وقدّمنا نفوسنا فداء عن هؤلاء المساكين ومحبة بالرب يسوع

ثمّ دخلنا المعبد نصلي امام القربان وكان الكاهن نسي ان يخرجه وكان الشماس الضرير يصلّي معنا وكلّنا نطلب ان تتمّ مشيئة الله فينا في الحياة وفي الممات فبقينا كذلك الى الساعة التاسعة من الليل ولم تزل اصوات البنادق وجلبة الاشقياء وقرقعة ابواب البيوت المجاورة المحطّمة بقنابل ورشاشات التاولة تطرق اذاننا وترجف فرائصنا. وكان السكّان جميعهم قد هربوا واقفلوا ابوابهم والّا تركوا مرضاهم اذ لم يسمح لهم الوقت بنقلهم وكنّا زرناهم منذ زمن قريب فاذاقهم التاولة عند دخولهم امرّ العذابات واحرقوهم بالكاز ولمّا اتى اهلهم بعد ايّام ليروا ماذا جرى لهم وجدوهم مجرّحين مقطّعين مشويّين بالنار بالعري التام بينهم النساء والشبّان والشابّات

ونحو الساعة التاسعة وصل الاشقياء الى ديرنا واخذوا يدورون حوله كالذئاب يصرخون ويضجّون ويطرقون على ابوابه فاشرت الى اختيَّ الراهبتين ان تخرجا معي بكل هدوء لنختفي في قرنة تحت درج الدير ورافقتنا خادمتنا واسمها نجمة فلطينا هناك ونحن نصلي الى قلب يسوع والى مريم سيّدة النجاة ومار يوسف شفيعنا والى الانفس المطهريّة وكان يقوينا هذا الفكر انّنا نمجّد الله باوجاعنا ونكفّر عن ذنوبنا واذا قُتلنا نكون شهيدات ايماننا. وفي تلك الساعة سمعنا اطلاقهم القنابل على باب ديرنا وعلى مدخله الذي بقرب المعبد فارتجّ البيت لضربهم وتكسّرت واجهة الزجاج التي فوق المدخل وانفتح الباب فدخلوا الى المعبد وكانت الساعة العاشرة من الليل فهلّلوا باصوات مرعبة كانهم الابالسة الجحيم ثمّ اخذوا يزقون الصور ويكسرون

التماثيل التقويّة والقناديل وحطّموا شخص البتول المنصوب لأكرام شهرهـا المريمي وفتحوا بيت القربان الاقدس بكل وقاحة ورموا ما فيه من القربان المقدّسة ودلسوها بارجلهم النجسة وهم يصرخون : يا راهبــات مرادنا ان نذبحكن ذبح الحملان! يا نصارى ٠٠٠ يا فرنسويّة !

فحدّث ولا حرج بما اصابنا حينئذٍ من الخوف والجزع ونحن نسمع تجــاديفهم وكأنّنا نرى كلّ ما يفعلون . ثمّ هجموا على الشمّاس الضرير وهو يصلّي فضربوهُ وجرحوهُ وحاولوا قتلهُ لكنّهم تخلّوا عنهُ لمّا قال لهم انهُ ضرير واعطاهم ما عليهِ من الثياب . ونحن وقتئذٍ في مخبانا نقول بعضنا للبعض : « الآن يثبون علينا . فما العمل . نجّنا يا رب »

## النجاة

ونحن في هذا الفكر واذا بالصانعة وهي فتاة بسيطة جدًّا وغاية في التقى تقول لنا : فلنهرب من باب الجنينة لأنّ هذا الباب من داخل الدير فقلنا لها : « اما سمعتِ كيف طرقوا كلّ الابواب وهم الان في وسط الدير يرمونكِ بالرصاص فتموتين » . لكنّها لم تنتظر جوابنا بل خرجت للحــال وذهبت تحت ستر الظلام وفتحت باب الجنينة دون ان تجد احدًا فعادت الينا مسرعةً واخبرتنا بذلك وكأن ملاكًا اتى من السماء ليخلصنا من ايدي اولئك الوحوش الضارية . فتبعنا الصـانعة دون وعي ولم نأخذ معنا شيئًا من اكل وملبوس ولم يكن علينا غير ثيابنا العتيقة . فاخرجتنا من الباب المذكور وافتكرنا ان نختفي في الجنينة الّا انّ لهيب بيوت الجيران ودخانهُ المتصاعد كان يُطلع علينا ويعمينا . فبقينا حيارى لا ندري ما العمل واذا بالصانعة ملاكنا المنظور في تلك الليلة اشارت الينا بان نتبعها لكي تأخذنا الى مكان امين . وكانت الساعة نحو الحادية عشرة من الليل الدامس . فقفزت امامنا كالظبية فوق سياج الجنينة ونحن في اثرها وهي تلتقفنا حين نقع ثم صرنا نتشبّث بالصخور ونطفر في حُفَر الارض فنعلو تارةً ونهبط اخرى وثيابنا تتخرّق بين الدغل والاشواك لكنّنا لم نبالِ وكلّ همّنا ان نبلغ الى مأمن . وكنّا نسمع غوغاء المتاولة « وزلاغيط » نسائهم اللواتي يجمعنَ اسلاب القرية وغنائمها ونميّز في ضوء اللهيب اشباحهم كشياطين الهاوية . وكانت

الحيوانات نفسها تبدي هلعهـا وكان البقر يخور والديكة تصيح والكلاب تعوي والقرميد يتحطم عند سقوطه .

فمشينا نحو نصف ساعة حتى بلغنا الى شجرة وارفة الظل فاسترحنا قليلاً ونحن نستتر تحت اغصانها الكثيفة لئلا يرانا احد والفتاة تجمة تجس حولنا خوفاً من عدو يترصدنا . وبعد حين شاهدنا اللهيب يتصاعد من بيت قريب منا حتى مسنا شراره فقالت الصائمة : هيا بنا نسير الى مكان آخر فان على مسافة ساعتين من هنا مكاناً اسمه بنيسه وعراً جداً قد هرب الناس اليه ليختبئوا فيه وانا اعرف الطريق : فالعجل العجل . فتبعناها بين الحجار والصخور والاشواك في وهاد وتلال نقع مرة ونقوم اخرى وقلبنا متقطع من الخوف وظهرنا محاول من كثرة الرعبات ونحن لم نذق طعاماً منذ الظهر . الا ان الفزع كان يطغى الوجع . فكنا نسير في الغابات المقفرة والاودية المحجرة مساكن الوحوش التي كنا نسمع صوتها ومآوي الحيات حتى وصلنا بعد الجهد الجهيد وقطع النفس الى المكان المقصود وهو غور نهاية في الوعور تغطيه الاشواك ولا تكاد تأوي اليه اللصوص فكان وصولنا الساعة الواحدة بعد نصف الليل

وجدنا هناك قسماً من اهل عين ابل التجأوا اليه فسررنا بمشاهدتهم ولا سيما اذ رأينا معهم الاخت بربارة وكل فكرها فينا اذ رأت اللهيب في جهة ديرنا فظنت اننا ذهبنا ضحية النار فصارت تندب وتقول : قد احترقت الراهبات في الدير . ورفقتها يصرخون : يا رب نج نج الراهبات من الحريق . فلما وصلنا اليهم شكروا الله من صميم القلب على خلاصنا وعدوا ذلك اعجوبة من قلب يسوع

ثم اخذنا نتشاور مع الجماعة الى اين نذهب فغلب الرأي ان نسير الى قرية رميش فمشينا معهم في طرق غير مسلوكة لئلا يهتدي الينا الاشقياء . فكم اصابنا من عذاب الطريق حتى وصلنا عند الفجر الى رميش وكان الندى يتساقط على ثيابنا فبللها فصرنا نرجف ونتقفقف من البرد ونتلفلف بثيابنا الضيقة المتخرقة وكان املنا ان نلقى فيها ما يسكرمتنا فاذا بها فارغة ليس فيها ديار ولا نافخ نار فكان اهلها اذ سمعوا ما حل بعين ابل ولوا هاربين فلم نجد من يبرد غليلنا بكأس ماء او يسد جوعنا بكسرة خبز لا سيما الاولاد يستغيثون ويطلبون ماء وخبزاً وليس من مغيث . الا اننا وجدنا في طرف القرية قوماً من اهل عين ابل كانوا سبقونا اليها فراراً من المتاولة فاخذوا يسألوننا

عن اهلهم وذويهم فافدناهم ما وقفنا عليهِ فكانت هذه الاخبار كسهام نافذة في قلوبهم أفجرت عيونهم سيولًا فشاطرناهم الاحزان

ثم قلنا لهم هيُّوا بنا الى قرية اخرى نجد فيها شراباً وطعاماً . فمشينا الى قرية المنصورة ومنها الى غيرها ثمَّ غيرها ونحن لا نجد في واحدة منها نصيراً ولا معيناً وكل الاهلين قد نجوا بنفوسهم من هجوم المتاولة وعرَّتهم . . ثم واصلنا المسير حتَّى دخلنا منطقة حماية الانكليز فوصلنا الساعة ١١ قبل الظهر الى قرية تدعى قنوطة كان اهلها ايضاً تفرَّقوا خوفهم الَّا اصحاب بيت واحد كانوا على وشك الفرار واذا بهم يطبخون الغداء دست لبنيَّة ويخبزون المرقوق على الساج لزوَّادتهم . وقد قدَّر الله انهم كانوا من اصحاب الخير والكرم فلمَّا عرفوا حالتنا من الجوع والعطش ونحن زهاء مئة نفس رحَّبوا بنا وقدَّموا لنا ما حضر عندهم من حليب وزبدة وخبز ابيض ولبنيَّة فأكلنا جميعنا ما قسمهُ الرب من خيرهِ وخير الكرام وشكرناهُ تعالى على ما انعم وتمنَّينا لاولئك المحسنين الف خير

ثمَّ قام كلٌّ منَّا متوجهاً الى حيث يؤمل لنفسهِ وآله اماناً وخلاصاً . امَّا نحن فقصدنا الذهاب الى ديرنا في معليا من قضاء الانكليز بيد اننا ما كنَّا نعرف الطريق وليس من دليل يدلُّنا . وكان قد قرب الظهر . فصرنا نمشي على التخمين حتى صادفنا رجلًا بعد ساعة فاستدللناهُ عن طريق معليا فأجابنا : هذه طريق صعبة جدًا يقطعها اللصوص فلا يمكنكنَّ سلوكها . فرجعنا الى القرية وسألنا الفلّاحين والزارعين عن طريق مسلوكة فكلهم يقولون : انَّ سائر الطرقات مقطوعة . وصاروا يقصُّون علينا الف حادث مزعج يجري كلَّ يوم فيها . فاستولت علينا الحيرة والشمس تحرق اجسامنا بلهيبها ليس لدينا مظلَّة نلطِّف بها حرَّها

فبينا نحن في تلك الحالة التعيسة اذا برجل مرَّ بقربنا فتوسَّلنا اليهِ بأرقّ الكلام واوقعهِ في القلوب ان يسير معنا الى معليا . فقال : كيف السير ممكنٌ والطريق كلها يقطعها اللصوص . فقلنا : وماذا يستطيع اللصوص ان يأخذوا منَّا وليس لنا سوى هذه الثياب الاخلاق . قال : آتي بشرط اني انجو بنفسي اذا خرج علينا اللصوص اذ ليس لي من السلاح غير هذه العصا . فاتَّكلنا على الله وابتدأنا ان نصلي على نيَّة النفوس المتقطعة لتشفع فينا وتنجّينا من كلّ عدوّ . فمشى الرجل ومشينا وراءه وهو ينظ

مثل العصفور ويقول: الحقوني واستعجلوا. فسرنا حفاة بين الحجارة والصخور والشمس تقدح في رؤوسنا. والرجل من مدة الى اخرى يقول: "هنا امس قتلوا واحداً. وهنا نهبوا آخر. وفي هذا الممرّ اخذوا مواشي فلان." فكان كلامهُ يقطع قلبنا ويحلل رُكبنا فضلًا عن الشوك الداخل في ارجلنا فكم كنّا نقع ونقوم ونتجرع في سيرنا الاشواك النافذة في جوارحنا

وكان يرفقتنا امرأة من تلميذاتنا تربت في ديرنا مدة ١٥ سنة واعتنت بها الاخت سلستين عدة سنين وكانت قد ولدت طفلًا قبل ٢٠ يوماً تحملهُ وهي بحالة الضعف والطفل يبكي ويتململ كأنهُ اوشك على الموت فتخلفت عنّا وهي ترثي لحالتنا اكثر منها لحالها. فاسكتناها واخذت الاخت سلستين طفلها ولفّتهُ بثيابها لتصونهُ من حرّ الشمس. فمشينا هكذا الى نحو الساعة ٥ بعد الظهر وقد اخذ منّا التعب كلّ مأخذ وغلب علينا العطش لا سيّما الاخت انستازي التي خارت قواها وانهكها العطش وهي تطلب بقلب مجروح جرعة ماء. فصبّرناها بذكرى يسوع على صليبهِ اذ صرخ: انا عطشان.. فصبرت مدة ثم رأت حالها في ضنك شديد كاد يُغمى عليها فلحقتها الامّ المرضع بنقط من حليبها ثم تقدمت الواحدة منّا فاسرعت الى معليا وهي لا تزال على بعد نحو ساعتين فأتت بابريق ماء. فلما شربت الاخت امكنها ان تتبعنا الى القرية. والحقّ يقال أننا في هذه الساعات الاخيرة تكبّدنا من العناء ما لا يفي به وصف فكنّا نزحف زحفاً من العياء والتعب

ووصلنا الى معليا بعد غياب الشمس ودخلنا دير اخواتنا في حالة يرثى لها وكانت رئيسة الدير الاخت اورسلا قد بلغها خبر مصائبنا مع تفاصيل نكبات عين ابل بواسطة كاهن القرية التي نزلنا فيها فسبقنا. فأثّرت هذه الامور في جسمها الضعيف حتى وقعت على الارض صريعةً لا تعي. وكانت رفيقتها الاخت بلاجيا تعتني بها لا يمكنها ان تفارقها لتجد احداً يأتي لمساعدتنا. فكان دخولنا عليها كموتى عادوا من قبرهم. فانعش وصولنا الاخت اورسلا فاسرعت هي والاخت بلاجيا الى الاعتناء بامرنا والدموع تجري من عيون الجميع وكان اوّل كلامها: الشكر لله على نجاتكنّ سالمات! لقلبهِ الاقدس المجد الذي خلّصكنّ بهذه الاعجوبة الباهرة!. فقضينا تلك الليلة في مداواة جروحنا وابدال ثيابنا وسدّ رمقنا فكأننا خلقنا لحياة جديدة

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى ترشيحا لنستأجر مكارياً يأخذنا الى عكا . ونحن هناك اذ رأينا اهل معليا هجروا بلدتهم واتوا الى ترشيحا واكثر اهلها مسلمون سليون يحتمون اليوم من المتاولة مع متاعهم على رؤوسهم واطفالهم على اكتافهم . فراهبات معليا اذ رأين اهلها هاربين تبعتهم ولكثرة ازدحام الناس بقينا كلّ واحدة ضائعة من رفيقتها الى ان وجدنا بعضنا بعد التفتيش الطويل . وظللنا اياماً في ترشيحا نطلب مكارياً ليسير بنا الى عكا فلم نجدهُ الّا في اليوم الرابع لكننا اسرعنا فأرسلنا تلغرافاً الى رؤسائنا في بيروت على يد رئيسة الناصرة في عكا مدام دي ريو الفاضلة اعلمناهم بخراب ديرنا في عين ابل وبقرب وصولنا الى بيروت بحراً (١

وجدنا في عكا اهناً ضيافة في دير راهبات الناصرة فاستقبلتنا رئيستهنّ مع اخواتها بكل لطف وحنوّ ولم يوفّرن شيئاً من العناية بنا جازاهنّ الله كلّ خير . ومثلهن راهبات حيفا اخواتهنّ فبذلن كلّ وسع في خدمتنا وتعزيتنا عن مصائبنا وذلك مدة اثني عشر يوماً الى ان وجدنا مركباً ينقلنا الى بيروت . وكنّا اثناء اقامتنا في حيفا نزور كلّ يوم المهاجرين من عين ابل وعددهم نحو الالف . عدا الذين هربوا الى صيدا وصور والجش وجهات أُخرى فكنّا نسمع منهم عن اهلهم وبيوتهم وارزاقهم اخباراً تثير الاشجان وتهدّ الاركان فنمزج دموعنا بدموعهم . وقد لقي هؤلاء المساكين في حيفا من كرم المحسنين وخصوصاً من عناية مطران عكا الفضال السيّد غريغوريوس حجّار الشهير بحسناته ومحبّته نحو البؤساء كلّ المساعدات الممكنة ولم يحرمنا ايضاً من اسعافهِ بارك الله كلّ مساعيهِ الخيريّة وحقّق كلّ رغائبه الصالحة

وممّن لقيناهُ في حيفا شمّاسنا انطانيوس الضرير الذي تركناهُ في معبدنا . اخبرنا انّ المتاولة في صباح تلك الليلة الهائلة هجموا كالذئاب على ديرنا وقضوا ثلثة ايّام يتناولون منهُ كلّ ما يحتويهِ من مؤونة واثاث وحاجات مدارس . ثمّ اضرموا فيه النار فحرقوهُ وهم يتغنّون بهذه الاقوال : « يا ما احلى كش العصفورة ! يا ما احلى سرق وحرق الديورة ! الخ » امّا هو فانتقل الى بيت امرأة ضريرة مثلهُ . كانت تجت لعلّها ايضاً

١) وفي اثناء ذلك عادت صالحتنا نجمة بكل جرأة الى عين ابل ماشية لتنظر ماذا حلّ بأهلها فوجدت امها قد قُتلت وكانت مثال البرّ والتُقى فدفنتها بيدها كئيبة ودفنت غيرها من اهلها وعادت فلحقتنا بعد ان ذهبت الى صيدا للاستخبار عن راهباتها

فاخذها معهُ وسارا متخاصرين الى كفر برعم اعمى يقود عمياء. واذا الشاس ذكيّ عالم كان سابقاً معلماً للاولاد محسناً لتفسير التعليم المسيحي فهداهُ ذكاؤهُ الى وجود طريقة للنجاة من ايدي الظالمين والى قطع المسافة بين عين ابل وحيفا ومنها الى بيروت

وكان وصولنا الى بيروت في ٢٣ من أيار يوم عيد سيّدة معونة النصارى التي اسعفتنا في هذه المحنة وأوصلتنا سالمات الى ديرنا العامر

# النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب : ١ الهندسة (تتمة)

ﷺ الهندسة المدنيّة ﷺ قد اتّسعنا في ذكر الهندسة النصرانيّة الدينيّة في عهد الجاهليّة واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنيّة كالقصور والحصون وغير ذلك ممّا يشيّدهُ الملوك والذوات لاغراضهم الخاصّة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كل انحاء العرب ولاسيّما في ممالكها الثلث اي التبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وردّ شيء من ذكرها في الشعر الجاهلي والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكر اسماء بُناتها ولا جرمانُ النصارى في قسمٍ منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يعفر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سندادِ

فهذه القصور بُنيت للملوك نصارى وقد تولّى بناءها مهندسون نصارى ذكرنا

احدهم وهو رجل رومي يقال له سِنِمَّار بنى الخورنق للنعمان الكبير (ياقوت ٢ : ٤٩١)

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرْنَق دون ان يدقّقوا في وصف بنائه . ولعلّه هو القصر الـذي زاره المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخَيْضِر وألفت اليه نظر العلماء في جمعيّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمّ زارته الآنسة الانكليزيّة مس بل سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو (Amu-rath to Amurath) واثبتت صورهُ (ص ١٤٧—١٥٨٠) وهو بنـاء عظيم ذو طابقين تدلّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنه امّا اسم الأُخَيْضِر فقد اختلفوا في اصلـه ولعلّ الاصحّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأُكَيْدِر صاحب دومة الجَنْدَل النصراني الذي مرّ لنا ذكرهُ (ج ١ ص١٠٨) . وقد جاء هناك عن البلاذري ان عمر بن الخطّاب نفاهُ من وطنهِ لمخالفته دين الاسلام فنزل موضعاً قرب عين تمر في جهات العراق وبنى به منازل سمّاها دومة باسم حصنهِ (راجع مجلّة لغة العرب ٢ : ٤٧)

وممّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١١٦) من الابنية النصرانيّة المدنيّة قصر العَدَسيّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح نُسبوا الى جدّتهم عَدَسة بنت مالك بن عوف الكلبي » .

ولا شكّ في انّ النصارى هم الذين شيّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم . فانّ الالمانيين ارباب الحفريّات في سامرا وجدوا بين انقاضها صوراً وتماثيل اشخاص بالوانها مع رسوم هندسيّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شمّاس نسطوري بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة «مسمس» (ܡܫܡܫܢܐ)

وقد افادنا ياقوت الرومي (٤ : ٤١٣) انّ قصر الخليفة المتوكّل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيهِ دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرابي

وممّا وقف عليه الاثريّون والسيّاح في ايّامنا من الابنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في انحاء مؤاب غربيّ وادي سرحان عدّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرّة (١ [١٨٩٨] : ٨١ و٦٣١ ثم ٤ [١٩٠١] : ٧٦٥—٧٦٦ الخ) كالمشتّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيها من الآثار الهندسيّة ومن التصاوير وتمثيل احوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما اندهل العلماء.

لوجوده في البراري . واتّسعت مذ ذاك الحين مجلات العلماء . ولاسيّما تآليف المستشرقين في وصفها والبحث عن بُناتها ومصوّريها . واليوم قد رجّح العلماء انّ هذه الابنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الامويّ . وكان يفضّل العيش في البادية على المدن . فصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار لسكناه وسكنى جنوده وحاشيته . اما مهندسو هذه القصور فكانوا ايضاً من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء اوّلًا الى بعض ملوك العجم ثمّ الى بني غسّان او الى بني لخم حتّى رجّحوا آخراً كونها للوليد بناها له النصارى الوطنيّون . وفي هندسة هذه القصور ما استدلّوا به على بلادهم المختلفة فكأنّ كلّ فريق منهم تتبّع طريقته الهندسيّة التي اعتادها في موطنه . وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بوادي العرب للوليد . قال ابن المقفّع :

« وضبط الملك ( بعد هشام ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان جشعه يبتغيه فبدأ يبني مدينة على اسمه في البرّيّة وجعل انساناً عليها وكان الماء بعيداً منها خمسة عشر ميلاً وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويّة ومن كثرة الناس كان يموت كلّ يوم فيها جماعة من قلّة الماء وكان يحمل لها الماء الف ومائتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يوماً و ٦٠٠ تحمل يوماً فوثب عليه رجل اسمه ابراهيم (١ فقتله واخذ الملك منه واطلق الاسارى فمضى كلّ منهم الى موضعه »

ولو تتبّعنا بعد هذا الآثار البنائيّة العربيّة في شمالي الشام وفي باديتها وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيّة النصرانيّة في كثير منها غير ان هذه الفنون الهندسيّة لم يُحكم العلماء درسها ليتحقّقوا اصلها ودقائق صنعها وفي القليل ممّا ذكرناه دليل كافٍ لاثبات قولنا بانّ النصارى اكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدنيّ معاً ( له بقيّة )

---

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمّه قتلهُ بعد التصادم عليه ولم يطل زمن ملك يزيد ثمّ ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

# مطبوعات شرقية جديدة

**Fischer** (Dr Hans) : Wirtschaftsgeographie von Syrien mit einer Wirtschafts-Karte, 8°. *Indischer Verlag, Berlin*. 1919

جغرافية سوريّة الاقتصادية

انجز الدكتور فيشر هذا التأليف في اواخر الحرب اذ تقهقر الاتراك مع الالمان من فلسطين وهو كتاب معتبر جمع فيه مؤلفه كلَّ المعلومات التي امكنهُ الحصول عليها لبيان احوال سوريّة الاقتصاديّة . وقد ساعدهُ على ذلك نفوذ دولته في فلسطين وانحاء الشام . ولا شكَّ انَّ هذه الاحوال بعد انتصار الدول المتحالفة سوف تتحسَّن فيقاس التحسين على معلومات هذا الكتاب . ومن فوائده خارطتان دقيقتان تدلُّ الواحدة على حالة التربة من الجهة الاقتصاديّة . والاخرى على احوال البلاد الصناعيّة والتجاريّة والمدنيّة . هذا الى اربعة رسوم يستفاد منها قياس المطر السنوي ثمَّ احصاء السكّان ثمَّ المستعمرات اليهوديّة والالمانيّة في فلسطين ثم رسم حيفا وجوارها مع ستّة جداول

**Ferry** (Abel) ; La Guerre vue d'en Bas et d'en Haut, in-16, pp. 328. *Paris*, 3e éd., 1920.

الحرب من اسفل ومن علُ

وضع هذا الكتاب في اثناء الحرب احد ضحاياها الذي قُتل قبل الهدنة بايّام قليلة وهو المسيو هابيل فرّي وكان احد مندوبي مجلس الامّة لعـامة الفرج فاراد حبّاً بوطنه تكليف نفسه بان يتجوَّل في ساحات الحرب ويحرّر ملحوظاته عن احوالها وحركاتها وقوّادها وجنودها ليشير الى زملائه بما في شؤونها وتدبيرها من الخلل ليتداركوهُ بالشورى . فكتاباته هذه التي نشرت الجرائد البعض منها قد جمعها اهله فنشروها بعد موته . فيستدلّ من هذا الكتاب على تفاني المؤلف في خير وطنه وحسن نظره في عدّة امور أُلقيت بموجب تحاريره على بساط البحث في مجلس الامّة فتداركوا ما تحقّقه من الخلل في حالة الجنود وفي العُدَد والاسلحة والذخائر فكان كتابه مساعداً لما نالته فرنسة من الظفر

ج . لوقاك

**Louis Capelle S. J** : Les âmes généreuses. *Paris, G. Beauchesne. in-12, 1920, pp. XXVIII — 623*

النفوس الكريمة

ليس الكرم المذكور في هذا الكتاب السخاء ببذل المال بل الجود ببذل النفس في خدمة الله جمعهُ حضرة الاب كابل اليسوعي من اقوال واعمال كبار اولياء الله ولا سيّما القديسين الذين خصّهم الرب بكرامات ورؤى عجيبة فاجتذبهم الى حبّهِ بتضحية نفوسهم ورضاهم باصناف الآلام من يدهِ تعالى وحملهم صليب ابن الله بكل نشاط وابهجة يفضّلون آلامهُ على كلّ ملاذّ الدنيا وشهواتها ففي تراجم هؤلاء القديسين تعاليم سامية وحكم الهيّة من شأنها ان تنير النفوس الصالحة وترشدها الى طريق الفضيلة وتنكّب بها عن كل ما يشتهيهِ العالم واصحابهُ فانتقى المؤلف هذه الشذرات ونظمها على اسلوب مبتكر فجعلها كدستور للنفوس الصالحة الطالبة أعلى درجات الكمال . ومع اقرارنا بفضل حضرة الجامع قد رأينا في بعض منقولاتهِ ما يجب التحفّظ في تصديقهِ والكنيسة لم تُبدِ حكمها فيهِ لا سيّما ما ورد في الصفحات ٣٦٢ الى ٣٦٩ عن امور المطهر . وهناك في الصفحة ٣٧٠ آراء عن اليمبوس لا توافق تعاليم اللاهوتيين فكان يجب التنبيه عنها . لكنّ هذه الكلف لا تكاد تخفّف شيئاً من انوار تلك الشمس الساطعة التي تنبعث ضياؤها من هذا الكتاب ب . كستاكيس

**Hans V. Kiesling**: 1) Damaskus altes und neues aus Syrien = 2) Rund um den Libanon. *Leipzig*. 1919 - 1920, *in-8. pp*. 426 *et* 120

وصف دمشق — سياحة في لبنان

ليس في هذين الكتابين شيء جديد . فانّ الاوّل منهما يحتوي وصف دمشق والثاني سياحة الى لبنان . مؤلفهما ضابط الماني لا يُعدّ من الاثريين ولا من المستشرقين وانّما سكن لبنان في زمن الحرب الاخيرة فانتهز الفرصة لزيارة انحاء الجبل وعاصمة الشام فدوّن في مذكّرتهِ بعض الملحوظات منها قولهُ في كتاب دمشق ( ص ١٩ ) انّ العرب مواطني فيصل ليسوا كما يظنّ البعض رجال بأس ومروءة فقد رأوهم غير مرّة يجرّدون الجرحى في ساحة الحرب من ثيابهم سواء كانوا اتراكاً او ألمانيين او انكليز على سواء . وممّا افاد هناك (ص ٣٥) انّ الالمان باشروا في دمشق مدّة الحرب حفريات حول الجامع الاموي اوقفتهم على ساحة الشعب

( Forum ) القديمة ومساحتها . فلعلّ منشورات الاثريين تفيدنا قريباً عن صحّة الخبر ونتائج الحفريّات . امّا الكتاب الثاني المشتمل على سياحة لبنان فانّ كاتبهُ ينقل اشياء كثيرة دون تمحيصها ببرودة النقد . على انهُ يحسن الظنّ باللبنانيين ويمدح نشاطهم ونظافتهم ويذكر محبّتهم العميقة لفرنسة ولم يجد اثراً لميلهم الى دولة عربيّة وغاية ما يطلبون النجاة من النير التركي وحماية دولة كبرى لا سيّما فرنسة . فهذه شهادة من احد الاعداء ابلغ من كلّ مدّعيات وطنيّنا الحوّاجا خيرالله في كتابهِ Les Régions Arabes libérées

الاب ه . لامنس

E. J. W. GIBB MEMORIAL: 1) XXII: Kitab Al-Luma Fi'ltasawwuf of Abû-Nasr Al-Sarraj. Text edited by R. A. Nicholson. 1914, pp. L + 154 + ٤٧٢ = 2-3) XXIII. 1 et 2. Nuzhat Al-Qulûb by Hamd-Allâh Mustawfi of Qazwin. Persian Text with Translation by G. Le Strange, 1915 - 1919. pp. XVII - ٣٧٨ and XIX-322 = 4) XXIV. Shamsu'l-'Ulum by Nashwân Ibn Saîd. Extract gesammelt, alphabetisch geordnet und herausgegeben von 'Azimuddin Ahmad, Ph. D, 1916. pp. XXIII + 44 + ١٦٣ *Leyden. E. J. Brill*

اربعة آثار من مطبوعات شركة جب

انقطعت عنّا لوقوع الحرب مطبوعات شركة جبّ فأرسل الينا منها مؤخّراً الكتب الآتية : ١ً كتاب اللُمع في التصوُّف لابي نصر عبدالله السرّاج الطوسي الصوفي المتوفى سنة ٣٧٨ ه (٩٨٨م) وهو كتاب واسع في ١٢٠ فصلاً جمع فيهِ مؤلفهُ ما عرفهُ عن اسم الصوفيين وتاريخهم ومشاهيرهم وطريقتهم واصطلاحاتهم الخ . وهو مفيدٌ جدًّا للوقوف على احوال الصوفيّة الذين زعم الزاعم انَّ بعض الرهبانيَّات النصرانيّة تقلّدوهم والصواب انهم هم الذين اقتفوا آثار الرهبان الذين سبقوهم اجيالاً ثمّ خلطوا بتعاليمهم ما انكرهُ عليهم المسلمون وغيرهم لا سيّما مذهب الحلول — ٢ً الكتاب الثاني بالفارسيّة هو لحمد الله ( وفي كشف الظنون يروى لحمد الله ) بن ابي بكر بن حمد المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٥٠ ه (١٣٤٩ م) في ثلث مقالات الاولى في مواليد الطبيعة والثانية في الانسان والثالثة في البلدان مع خاتمة في عجائب العالم . وهذا الكتاب طُبع طبعاً سقيماً في بمباي فعمد العلّامة المستشرق في له ستر نج الى قسمهِ الثالث الجغرافي فطبعهُ طبعاً مصحّحاً وذيّلهُ بالحواشي المفيدة

واضاف اليهِ الفهارس تتمّة لفوائده — ٣ وليس الكتاب الثالث سوى ترجمة التأليف السابق الى الانكليزيّة مع اللحوظات الوافقة والفهارس الحسنة · فنشكر ناشر هذا الكتاب الذي يزيدنا علماً عن عدة بلدان نازحة في عهد القرون الوسطى =

٤ الكتاب الرابع من امتع المصنّفات واجداها نفعاً لمرفة امور اليمن وهو لنشوان ابن سعيد الحميري اليمني المتوفى سنة ٥٧٣ ﻫ (١١١٧ م) سمّاهُ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم · قال الحاج خلفاء في وصفهِ (٤ : ٧٤) : هو «في اللغة ثمانية عشر جزءا سلك فيه مسلكاً غريباً يذكر الكلمة من اللغة فان كان لها نفع من جهة ذكرهُ وذكر في كل مادة ابواب الكلمة ومستعملاتها» وهذه الطبعة لا تحتوي غير منتخبات في اخبار اليمن اعتنى بنسخها وتصحيحها عظيم الدين احمد وقدّم عليها المقدّمة والملحوظات اللغويّة والتاريخيّة مع فهرس واسع على حروف المعجم لأعلام الرجال والنساء والحيوانات والاصنام ثم للاماكن والامم والقبائل والفرق والكتب فجاء سفرًا فريدًا في بابهِ لا سيما لمعرفة اخبار اليمن · فترى من الاوصاف السابقة كم اضحى الناس مَدينين لشركة جب لنشرها اعز الكتب التي لولاها لأخذها النسيان وضاعت في زوايا الخمول

ل · ش

١ سبيل الوصول الى الأصول او الفصول البيّنات في اصول الكائنات (ص ٢٠٨) = ٢ صدى الحقائق المردَّد ما بين موسى وعيسى ومحمَّد (الكتاب الثالث) (ص ١٨٣) وكلاهما بقلم الخوراسقف خير الله اسطفان المعتمد البطريركي المارونى

طبعا في نيويرك في سنتي ١٩١٤ و ١٩١٦

اطّلعنا بمل السرور على هذين المصنّفين الجليلين فالاول قد خصّهُ المنسيور خير الله باهمّ الابحاث الفلسفيّة كوجود الخالق واصل الكائنات من المواليد الثلاثة وتركيبها وجواهرها وخواصّها المميّزة لها وخصوصاً النفس وروحانيّتها وخلودها الى غير ذلك من الابحاث التي اثبتها بالبرهان وفنّد فيها اوهام المبتدعين والماديين والدروينيين وذوي الحلول على طريقة سهلة قريبة المنال وعبارة متينة وادلّة مقنعة · فيا ليت كتبة اميركة يعملون النظر في هذا التأليف فيكبّروا عن سبل الضلال في المباحث

الفلسفيّة – والثاني قد قابل فيه المؤلف بين حقائق النصرانيّة وتعاليم الأمّة المحمّديّة فذكر ما بينهما من الاختلاف وحكم الحكم الصواب في ما رآهُ اقرب الى الحقّ. فلا بُدَّ من اضافة هذين الكتابين الى ما اسلفناهُ عن المطبوعات العربيّة في اميركة ابّان الحرب وهما من افضل منشورات العالم الجديد

## مقالات دينيّة قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر

طبعة ثانية مصحّحة ومزيد عليها بطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٠ ( ص ٢٠٨ + ٤٩ )

قد عرف القرّاء فضل هذا الكتاب الحاوي لمقالات كأنها درر لقدماء كتبة النصارى ظهر معظمها في المشرق فطُبعت على حدة . واذ قد نفد طبعها اسرعنا الى اعادة النظر فيها لإصلاح ما وقع فيها من الاغلاط بعد مراجعتها على نسخ خطّية جديدة حصلنا عليها . واضفنا اليها اربع مقالات جديدة من جنسها فبلغ مجموعها العشرين وكفى باسماء مصنّفيها تنويهاً بمحاسنها فمنها لبولس الراهب اسقف صيداء في القرن الثالث عشر . ومنها ما يرتقي الى القرن التاسع كمقالات تاودوروس ابي قرّة وحنين بن اسحاق . ومنها ما هو بين العهدين كمقالات عبد يشوع الصوباوي وعيسى ابن يحيي وابن عسّال . فهذه الاسماء احسن شاهد على خطورة هذا المجموع ومحتوياته النفيسة فنحضّ الادباء عموماً ورعاة الدين خصوصاً لا سيَّما المترشحين للكهنوت على مطالعته والاقتباس من فرائده

## ١ حياة الجنرال غورو المندوب السامي للجمهورية الفرنساوية في سوريا . تعريب جورج بشعلاني (ص ٤٠)=٢ حياة صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري (ص ٤٨)=٣ وقائع صاحب السموّ الامير سعيد (ص ٧٢)

بيروت المطبعة اللبنانيّة ١٩٢٠

وصفنا سابقاً في المشرق (ص ١٥٩) سيرة حياة فخامة الجنرال غورو تأليف المسيو بيار غستيه فاحبّ الاديب جورج بشعلاني نقلها الى العربيّة تعميماً للفائدة فأجاد – وجنابه ايضاً حياة حفيد الامير عبد القادر وهو صاحب السموّ الامير سعيد الجزائري

فبيّن مع ترجمة سيرته ما له من الآثار المشكورة ولا سيَّما خدمة الطبيّة لدولة فرنسة التي قدّرت قدره وقلّدته اشرف المناصب - والكتاب الثالث مثله يحتوي وقائع الامير مع ما جادت به قرائح بعض الشعراء كحضرة الخوري مارون غصن وابراهيم بك الاسود والاستاذ يوسف افندي العلبوني وغيرهم فكان لثنائهم احسن تأثير

## كنز النفوس او اهمّ الغفرانات

جمعهُ حضرة الخوري بولس سيُّور البوشي

بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) سنة ١٩٢٤

كانت مطبعتنا الكاثوليكيَّة نشرت سنة ١٨٦٦ مجموعاً صغيراً يحتوي الغفرانات القريبة المنال لاحد آباء رسالتنا . الا انَّ هذه النعم الروحيَّة يطرأ عليها تغييرات شتَّى بامر المجمع المقدَّس فمنها ما يُلغى ومنها ما يستحدث . فاحبَّ حضرة الخوري بولس سيُّور ان يُعيد النظر في الكتب الرسميَّة التي نُشرت في هذا الموضوع مؤخَّراً بأذن الكرسي الرسولي ومجمع الطقوس كتآليف الاب برنجر اليسوعي وغيره فاقتطف منها هذا الكتيّب الصغير الحجم الكبير القيمة اذ بواسطته يستطيع المؤمن ان يكفّر عن ذنوبه باسهل منوال ويسعف الانفس المطهريَّة . وقد افتتحهُ بفصلين مهمَّين بيَّن فيهما ماهية الغفرانات والشروط لربحها ان كاملةً وان جزئيَّةً . فنشكر حضرة جامع هذا الكنز ونحضّ كلَّ المؤمنين على الاقبال عليه ل . ش

## تاريخ لبنان في الحرب

بقلم الخوري انطون يمين اللبناني (الجزء الثاني)

مطبعة امين هنديَّة بمصر سنة ١٩٢٠ (ص ٢٣٨)

سبق لنا وصف الجزء الاوَّل من هذا الكتاب (ص ١٥٦) الذي لم يذخر كاتبهُ المدقّق وسعهُ لجمع موادّه عن اصدق المصادر واوثق الموارد . وليس هذا الجزء دون بكره فائدةً بوفرة معلوماته وكشف مظالم الدولة التركيَّة وارباها وعمَّالها وبيان الحقائق السياسيَّة التي اماط عنها القناع . وممَّا قرأناه بكل رغبة وتأثير تفاصيل توقيف

وحبس وكتابات ووفاة الشقيقين فقيدي الوطن والمروءة والدين والادب الشيخين فيليب وفريد الخازن (٩٩ – ١١٤) وسُررنا ايضاً بما ورد في الكتاب عن اسرار المواصلة بين دول الحلفاء والبلاد السوريّة في زمن الحرب (١٥٨ – ٢٣٦)

# شذرات

❊ تمثال قداسة الحبر الاعظم في الاستانة ❊ روت جريدة الاوسرفاتوري رومانو لسان حال الواتيكان انه نُصب آخراً في الاستانة بحفلة مؤثرة تمثال قداسة الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر برخصة ومشاركة ارباب الحكومة المسلمين وزعماء الطائفة الاسرائيلية شكراً له على مساعيه الجليلة لمساعدة البؤوسين في مدة الحرب . والتمثال المذكور يمثل قداسته متوشحاً بالحلل البابويّة تدلّ يناهُ على شارة الاستقبال وفي يده اليسرى كتاب الانجيل الطاهر

❊ نجم جديد ❊ يرصد الفلكيُّون السماء فيجدون فيها من العجائب ما يكلّ لسانهم عن وصفهِ . وممّا وقفوا عليهِ في ٢٠ آب الماضي ظهور نجم جديد سطع نورهُ في الكوكبة المعروفة بالطائر او قفنوس (Cygne) في شمالها . فكان النور اوّلاً كنور النجوم الثالثة في العظم . ثم زاد سطوعاً فاضحى كالنجوم الثانية في العظم . وقد تنبعث منهُ غازات وافرة متجهة نحو ارضنا وسرعة هذا النجم في الثانية ١٠٬٠٠٠ كيلومتر . وهو ممتاز بشرائط مشعة كالاجرام السديمية امّا حرارته فكحرارة الشمس تقريباً تبلغ ٧٬٨٠٠ درجة من المقياس المئوي

❊ استخدام الشمس بدلاً من الفحم ❊ مرَّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣]: ٤٣٦) ذكر معادي الحجري وادواتها المستخدمة حرارة الشمس لاستخراج الماء من النيل وتوزيعهِ على الاطيان وبذلك يوفّرون عليهم نفقات الفحم الباهظة . وقد دفع الآن غلاء الفحم الحجري بعض الفرنج في مصر الى استخدام ادوات صغيرة ذات قساطل لولبيّة يجعلون فيها الماء ويعرضونها لحرارة الشمس مدّة ثماني او تسع ساعات فتبلغ

حرارة الماء درجة الغليان فيطبخون ما شاؤوا من الاطعمة ويستفيدون من سخونة الماء لبقيّة اغراضهم ·

﴿ نقد اسلامي مصوَّر ﴾ النقود الاسلاميَّة المصوَّرة قليلة جدًّا ومما وقع في يدنا من ذلك مسكوك من نحاس اتى به من حلب احد تلامذتنا يمثل رأسين متوَّجين متجهين الى الامام كُتب فوقهما «لا اله الا الله» وتحتهما «محمَّد رسول الله» وعن يمينهما «المستنجد بالله» وعلى الشمال «امير المؤمنين» ويحدق بالصورتين والكتابات السابقة اطار خفيف · امَّا الوجه الثاني فيمثل رأساً امامياً منفردا ذا شعر كثيف يحدق به · وقد كُتب في اعلاهُ «نجم الدين» وفي اسفلهِ «البي بن ايل غازي» وعلى اليمين «ابن ارتق» وعلى الشمال «ملك ديار بكر» فهذا النقد اذن لاحد ملوك ديار بكر من الدولة الارتقية وهو نجم الدين البي بن تمرتاش بن ايل غازي الذي ملك على ديار بكر وماردين من السنة ٥٤٧ الى ٥٧٢ هـ (١١٥٢ — ١١٧٥ م) · امَّا الصور التي على وجهي المسكوكة فمنقولة عن نقود بوزنطيَّة ورومانيَّة · وكثيرًا ما تمثل صور السيد المسيح والعذراء مريم او احد القديسين نجدها في نقود السلجوقيين ملوك الروم والارتقيين ملوك ديار بكر وماردين وحصن كيفا · وفي نقدنا هذا مثال رأس احد الملوك البوزنطيين مع الملكة قرينتهِ · والصورة التي على الوجه الآخر تمثل صورة ميدوزة (Méduse) احدى إلاهات اليونان · ولالبي المذكور نقد آخر من فضَّة على وجهِ صورة العذراء مريم تبارك الملك · وعلى اطرافها «ابو المظفَّر البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق» (اطلب I. GHALEB EDHEM : Catalogue des Monnaies Turcomanes, p. 30)

# أسئلة وأجوبة

س سأل جناب جان بك بسترس في اي سنة ضرب الاروام مدينة بيروت

ضرب الاروام مدينة بيروت

حدث ذلك سنة ١٨٢٦ اذ قدم ليلًا ١٣ مركباً من الاروام بازاء البرج المعروف

بابي عدير فخرج منها عسكر ونصبوا السلالم شرقيّ بيروت على السور وتقدَّمت المراكب الى الميناء. وعند الصباح دخل بعض الاروام المدينة واطلقت مراكبهم المدافع عليها الَّا ان اهل بيروت هجموا على الاروام الذين دخلوا المدينة وقتلوا قسماً منهم فهرب الباقون الى مراكبهم المبتعدة الى الغناس ثمَّ حاولوا ضرب المدينة فهاج المسلمون على النصارى والقوا كثيرين منهم في الحبس وغرَّموهم مالاً وافراً ثمَّ نالوا الامان بتوسُّط الامير بشير الكبير (اطلب تاريخ الامير حيدر الشهابي ص ١٠١٦)

س وسأل احد اطبَّاء البلدة في اي سنة أُنشئت مدرسة الطب المصريَّة المعروفة بقصر العين مدرسة الطب المصريَّة في قصر العين

ج أُنشئت هذه المدرسة في السنة ١٨٢٨ بهمَّة الخديوي محمَّد علي ومساعي الدكتور الفرنسوي الاطاسي الشهير انطون كلوت بك المولود سنة ١٧٩٣ والمتوفَّى سنة ١٨٦٨ . فهذا قدم مصر سنة ١٨٢٥ كطبيب للجيش المصري واهتمَّ ببناء مستشفى للجند في قرية ابي زعبل قريباً من القاهرة . واذ وجد نفسهُ محتاجاً الى مساعدين اختار بعض التلامذة وعُني بتخريجهم في ذلك المستشفى وذلك سنة ١٨٢٨ وفي السنة ١٨٣٧ نُقلت المدرسة الطبيَّة الى القاهرة فجعلت في مكان مدرسة علميَّة سابقة وعُرفت بمدرسة القصر العيني وخرج منها عدَّة اطبَّاء امتازوا بعلمهم وعملهم

س وسأل حضرة الخوري جبرائيل زين من جديدة مرجعيون متى جرت عادة التقديس على قربانة مطبوعة

القربانة المطبوعة

ج كانت القربانة في اوَّل الكنيسة خبزاً بسيطاً من خمير او فطير يقدّمهُ المؤمنون للكهنة فيقدّسون عليهِ ثمَّ اخذوا بعد ذلك يجعلون خبز القربان هيئة مدوَّرة ويزيدون العناية في تهيئتهِ كما ورد في اعمال القديس ابيفانيوس . امَّا طبع الصور عليهِ فهو ايضاً قديم فقد وجدوا في دياميس رومية ختماً كان يُطبع على القربانة وعليهِ في اليونانيَّة ΕΥΛΟΓΙΑ ΕΠΗΟΡΙΩ وقد اختلفت صورة الختم فالكنيسة اليونانيَّة تطبع صليباً مربَّعاً مع حروف يونانيَّة مختصرة I C X C N K اي « يسوع المسيح المنتصر » والكنيسة السريانيَّة تطبع صلباناً صغيرة متعدّدة على القربانة . امَّا الكنيسة اللاتينيَّة فانَّها تطبع صورة المصلوب وحدهُ

ل . ش